aljubtana-
'asfar altakwin almisria



الجبتانا

أسفار التكوين المصرية

سِفْر القمح والكوشير

الإصحاح الأول

ساد الأمن والرخاء جبتانا الأولى "منف" تحت زعامة "دان". الذي باركه تاسوع الآلهة فرعاه في "أفكار قلبه ونطق لسانه".... كان دان أكثرَ صرامةً من جبتو. وأكثرَ تنظيمًا لمنف: أُعِيْدَ بناء الأخصاص وسور القرية، باستخدام الأخشاب وطمي النيل وحزم البردي واللوتس. وأُنْشِئت أخصاص جديدة لأسر جديدة.. وأُقِيْم معبد مكعَّب. واختار دان عددًا من المبجّلين ليكونوا قضاة وكهنة.... أُعِيْدَ بناء الحظيرة، وقُسِّمت إلى أقسام لتسهيل الرعاية، وعزل الذكور عن الإناث وحلابة الألبان...

في صبيحة أحد أيام توت. من العام العاشر لتأسيس عين شمس، خرجت عدة أرمات وطوافات من منف بقيادة "دان". وعليها مجموعة كبيرة من رجال القرية وشبابها وفتيانها. مسلحين بالرماح وعصي الصيد والبلط والسكاكين الحجرية.. ساروا صاعدين في النهر إلى الجنوب معتمدين على الرياح والأشرعة أحيانًا، وعلى مذراة الدفع والجاديف في أحيان أخرى. إنها رحلة صيد وجمع للثمار من مناطق الجنوب التي لم تطأها أقدام ولا طوافات الجبتيين... ساروا مع النهر العظيم يجوبون جزره وشواطئه. وامتلأت سلالهم وطوافاتهم بالموز وثمار أخرى كثيرة. كانت موجودة في ذلك الزمان... كذلك اقتنصوا فرائس كثيرة. ربطوها ووضعوها إمَّا على الطوافات. وإمَّا على بعض الجزر الرسوبية ليحملوها في طريق العودة إلى منف.

حطُّوا رحالهم على لسان متصل بالشاطئ، وأطلقوا على المكان اسم "ميدوم"؛ وهو أول شاب نزل من طوافته إلى الشاطئ ليجمع مزيدًا من الرُّطب المتساقط أسفل مجموعة من النخيل. تلهو عليها أعداد من القردة بأكل الرطب. والانتقال من نخلة إلى نخلة أخرى متداخلة معها بسعفها...

وتوغّلوا في الشاطئ... وبينما كان "رام" و"مِرِن" يطاردان وعلا. شعرا بأن هناك مَنْ يراقبهما: فلبثا في دَغَلٍ لا يتحرّكان. وبعد فترة من الوقت. رأيا فتى وفتاة في طريقهما إلى النهر ومعهما أوعية البامبو. صاح "رام" بشعار القبيلة: "جبتو... جبتو..." فأسرع الفتى والفتاة في العدو. وهما يردِّدان شعار قبيلتهم: "راهو... راهو..." وأسرع "مِرن" يعدو خلف الفتاة الصغيرة؛ فتعثرت في بعض

النباتات، واستطاع "مِرن" أن يقبض عليها ممسكًا بشعرها، بينما لاذ الفتى بالهرب.

أقبل دان ومَنْ معه، ولمَّا عرفوا ما حدث، أمر "دان" الجميع بالرحيل سريعًا؛ فنزلوا إلى طوافاتهم وأرماثهم، وابتعدوا عن الشاطئ، وساروا مع التيار إلى الشمال... وكان مِرن لا يزال ممسكًا بالفتاة الصغيرة وهو على متن طوافته... عبر المنفيون منطقة من النيل يمتد إليها لسان من الشاطئ، وعلى ذلك اللسان وقف جمع من البشر يطلقون من آن لآخر شعارهم: "راهو... راعو.. لاهو.. لاهون". ولمَّا رأى هؤلاء "الراهو" أو "اللاهون" الذين هم أهل "ميدوم"، في عُرْف الجبتيين، الأرماث والطوافات السابحة في الماء، خرُّوا راكعين للآلهة التي تركب الماء ولا ترهب التماسيح، ولا تخشى أفراس النهر... وبالرغم من ركوع أهل ميدوم لآلهة منف التي تركب الماء، إلا أن هذه الآلهة المزعومة فرّت في اتجاه منف في الشمال.

وصلت الأرماث والطوافات إلى منف قبل الغروب بقليل، وُزِّعَت سلال الفواكه والثمار على الجميع، وسُحِبَتْ الفرائس إلى الحظائر، وأُشْعِلَت النيران لإعداد طعام المساء، وإحراق رءوس الأضاحي وأرجلها وأحشائها على أحجار القرابين كتقدمة مسائية لرع والتاسوع المقدس.

أثناء العشاء، كانت عيون القوم مركَّزة على الأسيرة الميدومية، التي زاد التصاقها بالفتى مِرن... ورأى الجميع ما كان على ملامحها ووجهها من استغراب، لمَّا قدَّم إليها مِرن نصيبها من اللحم المشوي؛ إذ ظهر جليًا للجميع أنها تأكل مع الرجال لأول مرة.

بعد العشاء، تجمَّع القوم حول النار، وتحدَّث دان ورفاقه في رحلة الصيد عما شاهدوه في رحلتهم إلى ميدوم، وعجب كثيرون لوجود بشر آخرين، وعجبوا أكثر لكونهم لم يصلوا لمعرفة الكثير من الأسرار، وشعروا من خلال التفاهم مع الأسيرة الميدومية بالإشارة، أن تلك الأسيرة قريبة منهم بالقلب وإن كان اللسان مختلفًا" [1]... وانفضّ الجمع من حول النار، وأخذ مِرن أسيرته ودخل خصه الجديد.

استيقظت الأسيرة قبل مشرق رع، على نباح الكلاب الذي لم تَعْهَدْه في قريتها؛ أزاحت الباب ونظرت، فإذا بالكلاب تملأ الساحة باطمئنان لم تَعْهَدْه في قريتها في علاقة الوحوش بالإنسان... ولمَّا لم تفهم الأمر، أغلقت الدلتا وعادت

فاستلقت على الفراش بجوار مِرِن، فما لبث أن استيقظ، وأخذ يربت على شعرها؛ ليشعرها بالاطمئنان... وأشار إلى نفسه وقال "مِـرِن"، ثم أشار إليها مستفهمًا فقالت: "هاجار" فأخذ يردِّد اسمها وهي تبتسم...

دبَّت الحركة في منف، وتراجعت الكلاب خلف الأسوار، وتجمَّع أهل منف للطعام وعجبوا من أن هاجار صارت كواحدة منهم بمجرَّد أن قضت ليلة مع مِرِن في خصه، وأكلت من طعامهم... وردَّدت البنات أسماءهن وهن يُشرْن لأنفسهن، وطلبن من هاجار، بالإشارة أن تذكر اسمها فقالت "هاجار"؛ فشعرن بقربها منهن، حتى باللسان؛ لأن اسم "هاجار" من الأسماء المألوفة لهن؛ كما أن بعض كلامها مفهوم لهن.

بالرغم من قلّة المياه الجارية في النيل عند منف، إلا أن دان أصرَّ على الرحلة إلى عين شمس؛ إذ بات يشعر بالقلق لقرب بشر آخرين من منف... حُمِّلت الطوافات بسلال الرُّطب والثمار وبعض الفرائس، واتجه دان إلى عين شمس، ومعه مجموعة من رجال منف... وحين التقى بجبتو عرض عليه مخاوفه من وجود قرية على بُعْد نصف نهار إلى جنوب منف، وطمأنه جبتو قائلاً "أعداد حاملي الرماح في منف صارت كبيرة، ولو كان الميدوميون ذوي قوة وعدد كبير، لبادروا إلى القتال لتحرير أسيرتهم، وأنتم تقولون إن أسيرتهم تبدو قريبة منا بالقلب، وإن اختلف اللسان، كما أنهم أقل صلة بتاسوع الآلهة؛ لهذا لم تلهمهم، فهم أقل خبرة، كما أنهم ركعوا لكم لمَّا رأوكم تركبون الماء واعتبروكم آلهة...".

وقال لابانو: "إن هؤلاء الميدوميين لا بد وأن يكونوا من سلالة قريبة منا بالدم والقلب، وإن اختلف اللسان، بدليل ما تقولونه من أن قلب الأسيرة، وبعض نطقها قريب منا...".

الإصحاح الثاني

في مساء يوم زيارة المنفيين لعين شمس؛ طلبًا لرأي جبتو وحكمته، اجتمع الجبتيون حول نار عين شمس المقدسة، وقُرِعت طبول المعبد وأُقيم احتفال راقص؛ بمناسبة إعطاء كونا بنت جبتو امرأةً لبيبي أحد شباب منف.

بالرغم من سعادة جبتو بالحفل، وشعوره بقوة الجبتيين في منف وعين شمس، وتزايد الأعداد، خصوصًا في جيل الأطفال، إلا أن قلبه كان لا يزال مشغولاً بقضية العدد، وعاوده وحي رع والتاسوع بضرورة ختان الذكور؛ حتى يكونوا في فحولة الثور المقدس "أبيس" ومن ثَمَّ تكون النساء في خصوبة "حتحور" و"قمة الغرب"[1].

في صبيحة يوم من أيام بؤونة من العام التالي (العام الحادي عشر من تأسيس عين شمس) ومع بدايات الفيضانات، أمر جبتو بإعداد عدد كبير من الأرمات والطوّافات، ومن مرفأ عين شمس، خرجت الطوّافات والأرمات بقيادة جبتو محملة بأعداد كبيرة من شباب المقاتلين وفتيان الصيد، ومعهم رماحهم وأسلحتهم ذات الأسنّة الحجرية، ومعهم سلالهم استعدادًا لقطف الثمار والفواكه والخيرات... اتجهوا شمالاً مع تيار الماء المتدفّق، ولمّا كانت هذه أول رحلة مع الماء إلى الشمال، مالوا إلى الحذر؛ فالأرض مجهولة لهم، وكذلك فروع النيل ومستنقعاته في أرض الشمال.

رسا الجبتيون على جزيرة من جزر النيل، ربطوا أرماثهم وطوّافاتهم بالحبال إلى أشجار الجزيرة... فوجئوا بجنة لم تطأها أقدام البشر... ملأوا سلالاً بالعنب والرمان والموز والبطيخ والفاقوس والشمام وثمار أخرى... أشعلوا ا النار وشووا عدة بجعات وإوزات وخنزيرين وأكلوا وشربوا، ولم ينس جبتو حق الآلهة في الأضاحي؛ حيث طرح الرءوس والأرجل والأحشاء في النار فتصاعدت روائح المحرّقات إلى رع والتاسوع في السماء.

بعد الطعام، انحرفوا شرقًا في أحد أفرع النيل وهم يردّدون خلف جبتو في قدّاسهم الصباحي ترنيمة للتاسوع المقدس (وأثبت -أنا مانيتون السمنودي- سورتا أو ترنيمة "الشكر لرع والتاسوع على هبة الأرمات والأشرعة" والمنسوخة

عن متون التوابيت... تقول الترنيمة: "يا رع يا نور الكون... يا بتاح أيها الإله الصانع... أيها التاسوع المقدس. لكم منا -نحن الجبتيين -التقديس والتبجيل والتقدمات؛ فقد أوحيتم لنا صناعة الأرماث والطوّافات، كما ألهمتمونا سر الشراع، حتى نجمع أنفاس "تشو" التي تسيّر الأرماث ضد التيار. إنكم قد أوحيتم إلى التماسيح وأفراس النهر ألا تعتدي على الأرماث والطوّافات... أيتها الآلهة العظيمة التي هجرت ارض مصر إلى جنة السماء... تباركتم وتعاليتم فقد أتحتم لنسلكم من الجبتيين أن يسيحوا بأرماثهم وطوّافاتهم هنا وهناك لكي يزدادوا قوة وكثرة، ولكي يستمرُّوا في الوجود إلى أبد الأبدين.. هيلا... هيلا... هيلا" [٣].

كان "نوتي" [٤] ماسك المذراة الطويلة في طوّافة المقدِّمة هو المسئول عن تحديد اتجاه السير، كما كان مسئولاً هو و"تينو" و"رامو" عن تحديد معالم الطريق بترك علامات واضحة؛ لتأمين طريق العودة، حتى لا يضلوا الطريق في تلك المستنقعات والأفرع والجداول المتشعبة التي يتدفَّق فيها ما يلقيه "حابي" بشادوفة المقدّس... نزلوا جُزرًا أخرى، وملأوا مزيدًا من السلال، واقتنصوا الكثير من الطيور والحيوانات.. ورأى جبتو أن يعودوا، فسوف يكون طريق العودة طويلاً؛ حيث سيكون اعتمادهم على الأشرعة والمجاديف والمذراة.

حين داروا للعودة، خُيِّل إليهم أنهم رأوا بشرًا على أحد ألسنة الشاطئ، خلف أشجار ذلك اللسان، فاتجهوا بالطوافات والأرماث إلى ذلك اللسان، وحين كانت طوافة نوتي، على بعد مذراه أو مذراتين من الأرض، فوجيء الجبتيون من أهل عين شمس بعدد كبير من النساء والبنات وبضعة غلمان، يقفون بين أشجار الشاطئ... فصاح الجبتيون بشعارهم: "جبتو... جبتو..." وكانوا يتوقَّعون من الواقفين على الشاطئ ترديد شعارهم والاستعداد للتصدي والقتال، لكنهم فوجئوا بهؤلاء الواقفين، يركعون لراكبي الأرماث والطوّافات من الرجال والشباب ذوي اللحى... نزل "نوتي" وربط حبال طوافته بشجرة على الشاطئ وتبعه الآخرون.. أمر جبتو بإحضار سلال من الرطب والعنب وقام بتوزيعها على هؤلاء الراكعين للتحية.

قال جبتو لهؤلاء الراكعين للتحية، بعد أن استنهضهم من ركوعهم، مشيرًا لنفسه ولمَنْ معه: "جبتو"، فإذا بهم يركعون من جديد؛ فاستنهضهم

جبتو مرة ثانية. فقامت امرأة متينة البنيان فارعة الطول فاتحة البشرة، واستنهضت الباقيات فوقفن. وأحس جبتو ومَنْ معه من عين شمس أن هذه المرأة هي الزعيمة... حيَّاها جبتو من جديد وأشار لنفسه وللجبتيين وقال: "جبتو"، ففهمت المرأة، وأشارت لنفسها ولِمَنْ حولها من النساء والبنات وبعض الصبية وقالت: "أتريب"؛ وشعر جبتو أن المرأة قريبة بالقلب والدم، وإن كان اللسان مختلفًا...

أمر جبتو فأُحْضِرَت عدة عنزات وتيسان وخنزيران... وجرى الإعداد للطعام بالاشتراك بين رجال عين شمس ونساء "أتريب" فارعات الطول؛ وأشعل أحد رجال عين شمس النار باستخدام قطعتي حجر... وقدَّم الطعام للجميع... وتدريجيًا خفَّ شعور أهل أتريب بالقداسة تجاه رجال عين شمس، خصوصًا بعد أن رأوهم وهم يأكلون ويشربون مثلهم.

فهم أهل عين شمس أن السيادة في "أتريب" للمرأة، وأن تلك الزعيمة - التي لم تكشف عن اسمها - هي المسئولة عن الجماعة... وسألت الزعيمة - بالإشارة -عن كيفية صنع الأرماث والطوَّافات... وعلى الفور، نزل عدد من شباب عين شمس إلى الشواطئ فجمعوا كمية كبيرة من الأعواد الجافة والخضراء، من البوص والبامبو والبردي واللوتس، وحزموا الحزم، وصنعوا رمثين وطوَّافتين هدية للزعيمة ونساء أتريب... وردت الزعيمة بأن أمرت امرأتين عملاقتين: فذهبتا وعادتا بقارب خشبي مصنوع من جذع شجرة جميزة، بطريقة النحت والنقر والتجويف.. فسأل "نوتي" الزعيمة عن الأداة التي جوَّفوا بها القارب؛ فأخرجت امرأة من إزار صدرها سكينًا عجيبة، صُنِعَتْ من حجر لامع، يجمع في لونه بين الحمرة والزرقة والصفرة، وطرقه نوتي على قطعة صخرية؛ فأحدث رنيًا عجيبًا... وحاول الجبتيون معرفة المكان الذي يُجْلَب منه هذا الحجر، لكنهم لم يخرجوا بشيء سوى أن رجلاً جاء من المستنقعات الشمالية، وكان معه بضعة سكاكين من هذا النوع.

الإصحاح الثالث

لم يجد جبتو بأسًا من قضاء الجبتيين الليل في ضيافة أهل أتريب، وقامت الإتريبيات عند الغروب بذبح عدد من الخنازير والتيوس، وأشعلت الزعيمة نار "نوت" بطريقة أهل أتريب؛ حفرت حفرة ضيقة بسكينها النحاسية في جذع شجرة جاف، وأدخلت عودًا جافًا في تلك الحفرة، وجعلت تدير ذلك العود بكلتا راحتيها، وبعد فترة تصاعد الدخان بفضل تعويذة "نوت" (٥) وأُشعِلَت النار وتمّ الشواء..

وتحلّق الجميع حول النار يأكلون ويشربون... ومن جديد شعر جبتو بأن الأتريبيات قريبات من الجبتيين بالقلب، وإن كان اللسان مختلفًا، خصوصًا بعد أن أشارت الزعيمة إلى نوت "ربة السماء، وبعد أن وضعت رءوس الحيوانات المذبوحة وأرجلها وأحشاءها لتحترق في النار، ورفعت يديها تردِّد مزمورًا، سمع منه جبتو كلمة "لا" التي تعني "را" أو "رع".

قامت الزعيمة والنساء، بعد العشاء برقصات عنيفة، ثم قُدِّم شرابٌ من الماء مخلوط بمسحوق بعض البذور، وشرب الجميع، ما عدا جبتو، الذي تذكَّر حكاية من حكايات "جبتو مصرايم" عن آكلات اللوتس، وشاربات مائه، اللائي يُسْكِرن الرجال ويستولين عليهم؛ لهذا شرب جبتو الماء بدلاً من الجعة... وأخذت الزعيمة جبتو إلى خُصِّها ليقضي الليل معها، واختارت كل أتريبية رجلاً من عين شمس أو فتى ليقضي الليل معها؛ إذ لا رجال في أتريب...

كاد النهار ينتصف، والجبتيون والأتريبيون مجتمعون قرب مرفأ أتريب... وشرب الجميع الجعة، حتى جبتو الذي لم يعد يهتم بحكاية آكلات اللوتس وشاربات مائه، والآسرات للرجال بالشراب المخدِّر... وسُمِعَت صيحات "أتريب" فنظر الجبتيون إلى صفحة النهر، فوجدوا عددًا من القوارب الخشبية المنقورة من خشب الجميز، تحمل عددًا من النساء والبنات يرددون الشعار "أتريب"... وظل الجبتيون في أماكنهم، بينما استقبلت النساء الأتريبيات زميلاتهن... وكان الشراب والطعام من جديد... وأعقب ذلك رقص عنيف من الأتريبيات وشباب عين شمس، وبعد الرقص، اختارت كل امرأة رجلاً ودخلن إلى الأخصاص.

عند الوداع، عرضت الزعيمة على جبتو عرضًا غريبًا، وهو أن تعطيه سبع فتيات، في مقابل أن يعطيها سبعة فتيان... وتردَّد جبتو، ونظر إلى أفراد بعثته، فقرأ الموافقة في وجوه الكثيرين... وتمت المقايضة... وأفصحت الزعيمة عن اسمها "هاجال" ذلك أنها لم تعد تعتبر جبتو غريبًا يريد الشر[٦]... وفهم جبتو من إشارات هاجال أن الأطفال الذكور من أتريب حلت عليهم لعنة رع وأتوم فهم يموتون قبل البلوغ؛ مما يجعل نساء أتريب يبحثن عن الرجال، ومما يجعلهن يشعرن بالقداسة تجاه الرجال، الذين يعيشون ببركة رع وأتوم وبقية التاسوع[٧].

تعجَّبت النساء والبنات والرجال في عين شمس، حين رأوا البنات القادمات على الطوَّافات: كانت قاماتهن أكثر طولاً، وبشرتهن أقرب إلى البياض..

نزل الجميع من الأرماث والطوَّافات وأُعِدَّ العشاء... وبعد العشاء، قُرِعَت طبول المعبد، واشتد الراقصون والراقصات عنفًا، وخلال الرقص، عرفت كل امرأة أتريبية رجلها... وكان جبتو قد أختار أطول الفتيات وأكثرهن قوة، وهو جالس قرب النار، لكن ما إن اختارت تلك الفتاة، ابنه الأول "كونو" حتى سكت جبتو، وصمتت أطماعه[٨] ودخلت الأتريبيات مع رجالهن إلى الأخصاص.

انصرف الجميع، وظل جبتو بجوار النار يفكِّر في مصير الجبتيين، بعد أن اتصلت منف بميدوم، واتصلت عين شمس بأتريب، وسبعًا من بنات أتريب صرن أمهات في عين شمس... نهض جبتو من مكانه عند النار: فنبحت الكلاب عند الأسوار، فبدا لجبتو أن يطمئن على أقسام الحظيرة، فاتجه إليها، وسعد كثيرًا، حين رأى أقسام الحظيرة تعجُّ بالحيوانات المستأنسة... ورأى جبتو أحد العجول... وفكَّر من جديد في أن الفتيان لو خُتِنوا، وأصبحوا بلا غرلة، كالعجل "أبيس"، فإن هذا أدعى لزيادة نسل الجبتيين؛ إذ إن الآلهة تبارك المختونين من الذكور.

الإصحاح الرابع

وضعت "نيما" زوجة "وان" طفلاً ذكرًا... وقُدِّمت عدَّة تيوس كقرابين للآلهة في معبد عين شمس... واستدعى جبتو الكاهن الطبيب "دِبْحِن" وأبلغه أن الإلهة "حتحور" والإلهة "نوت" ومعهما "قمة الغرب" زرنه ذات ليلة بعد أن شرب من سكائب الخمر المقدَّسة، وأبلغنه بأن مجمع التسعة المقدسين، يأمر بأن يُخْتَن جميع الذكور من الجبتيين، وأن يكون الختان في اليوم الثامن من الميلاد.. وكان "سيحو" ابن "نيما" و"وان" أول مولود خُتِنَ في عين شمس... ووضعت "كونا" زوجة "بيبي" ولدًا آخر، وفي اليوم الثامن من ميلاده ختنه "دِبْحِنْ" الطبيب الكاهن، وتركت "كونا" شأن تسمية الصغير لأبيها جبتو؛ فسماه باسم "أبيس" نظرًا للتشابه المرجو بين الوليد وبين "أبيس".

مرّ ما يقرب من عامين على ميلاد "أبيس" ابن كونا، وابتدأت حرارة الجو تتزايد في بشنس... وذات يوم من بشنس، وكان الطفل "أبيس" قد فطمته أمه، وأطعمته شيئًا من كبد الصيد، وكان يصرخ ويبكي ويبدو على وجهه سمات الألم والمعاناة...

(أثبت -أنا مانيتون السمنودي، المكلَّف بتسجيل الجبتانا- شيئًا من بردية من البرديات من الواضح أنها تُكْمِل قصة كونا وابنها والقمح، ويبدو من طريقة كتابة البردية، أن ما دُوِّن بها عبارة عن قصيدة شعرية يستنسخها التلاميذ [٩] في المعابد للتدريب على الكتابة، وحفظًا للآداب القديمة... تقول سطور البردية: في الحقبة التي سبقت عصر إيزيس، سكنت نساء مصريات كهوفًا أو أخصاصًا... الأم المصرية "كونا" كانت قد فطمت صغيرها "أبيس"... الأم "كونا" أطعمت الطفل شيئًا من مخ الصيد، وشيئًا من كبد الصيد... الطفل الصغير يبكي ويتألم... والأم "كونا" تبكي وتتألم... خرجت كونا بالطفل من الكهف إلى شاطئ النهر، عسى الآلهة ترى ألمه فترق لحاله، جلست "كونا" بالطفل على الشاطئ، وتطلَّعت إلى السماء، رأت عشًا للعصافير ومعهم أمهم تطعمهم منقارًا لمنقار، وتنزل العصفورة الأم فتفتش في الأعواد الذهبية عن الحبات الذهبية... فتأخذ الحبات بمنقارها وتطعم الصغار، منقارًا لمنقار... انتبهت الأم الجبتية... فتشت في الأعواد الذهبية فرأت سنابل "رع" بحباتها الذهبية... مضغت

الحبات الذهبية، وأعطتها وليدها "أبيس" فمًا لفم... هذا الطفل... ضحك الطفل... ضحكت "كونا" وجمعت مزيدًا من الحبات الذهبية... نبتت بعض الحبات الذهبية في الكهف... في العام التالي زرعت كونا تلك الحبات الذهبية في الطمي الذي خلأفه حابي بعد الفيضان... وفي شهر بشنس حصدت "كونا" سنابل ذهبية، تحوي الحبات الذهبية... وعرفنا -نحن الجبتيين- الكونا أو الكورنا أو القمح...)[١٠].

صنعت بنات "أتريب" في عين شمس من حبات "كونا" أي القمح، ذلك الشراب الذي تعوَّدن شربه في أتريب، وهو الجعة... وكانت النساء الأتريبيات متعوِّدات على صنع "الجعة" من حبات ذلك البنات البري.. ولكن ذلك النبات صار الآن يُزْرَع في عين شمسن بل وانتقلت زراعته إلى أتريب ومنف... يطحنون حبوب القمح، ثم يجعلونها عجينًا ويضعون فيه خميرة من عجين أمس، وخميرة عجين أمس توخذ من عجين أول أمس... أمَّا أصل الخميرة فيعود إلى الإله "بتاح" الصانع، الذي يهوى شرب وصناعة الخمر والجعة، ونظرًا إلى أن الخمر والجعة لا تجود إلا بالخميرة، فإن "بتاح" قد وضع أصلها في شادوف "حابي" (أثبت -أنا مانيتون السمنودي -من بعض المتون المصرية، ما يتعلَّق بيوم النقطة: الإله "بتاح" يهوى الخمر والجعة في جنة التاسوع في السماء؛ لهذا أراد أن يجعل نسل الآلهة من الجبتيين يستمتعون بالجعة... ولمَّا كانت الجعة لا تصلح بدون خميرة؛ لهذا وضع بتاح أصل الخميرة في ماء النيل من خلال شادوف "حابي" الذي ينقل المياه الحمراء من جنة الآلهة في السماء، إلى جنة أبناء الآلهة من الجبتيين... وكي تتجدَّد تلك الخميرة السماوية كل عام، صارت "نقطة الخميرة" تنزل من السماء كل عام في الليلة الحادية عشرة من بؤونة)[١١].

تعوّد الأطفال أن يأكلوا حبوب القمح... وفي بعض الأحيان كانوا يأكلون عجين الجعة (وأثبت -أنا مانيتون- جزءًا آخر من بردية: ذات مرة كانت طفلة من بنات عين شمس، تعبث بالطمي، تصنع منه أوعية طعام وأوعية شراب، تدفعها في النار لتجف، نظرت الطفلة إلى عجين الجعة، ولمَّا رأته طينًا أبيض، صنعت منه أوعية طعام مسطوحة ولمَّا دفعت بهذه الأوعية على الأحجار المحمَّاة، إذا بها تنتفخ، وتخرجها الطفلة وتأكل منها، ويأكل منها الجميع... وعلّمت الآلهة، من خلال طفلةٍ صناعة الخبز أو "البِتّاو"[١٢] لجميع المصريين).

الإصحاح الخامس

مرّت عدة أعوام على بدء زراعة القمح في الطمي الرسوبي الذي يتخلّف عن الفيضان، وزادت أعداد الأطفال والصبيان في جبتانا الأولى التي هي منف... وكبُر "دان" زعيم منف، وزوّدته الآلهة بالحكمة "يفكّر بها قلبه وينطق بها لسانه". ومع ازدياد حكمة "دان" ازدادت وساوس قلبه، التي لم ينطق بها إلا للخاصة الذين يعتمد عليهم، مثل "مِرن" الذي جعله دان مسئولاً عن الصيادين والمقاتلين، ومثل "ميدوم" قائد الأرماث والطوّافات، والذي علّمته الآلهة كيف يستخدم المجداف والمذراة وقوة هواء "تشو" في الشراع، ومثل "ساكبو" الحكيم الذي ملأ "تحوت" قلبه بالحكمة فصار مسئولاً عن المعبد ونار المحرّقات والطب..

مما زاد من وساوس "دان" أن أشياء كثيرة تطفو على مياه جابي تأتي من الجنوب: مآزر، عصي صيد ورماح، جثث أو بقايا جثث بشرية، أوتاد وحبال، أشياء كثيرة كأنها تحدّث "دان" وتقول له: "هناك بشر آخرون"... فاهتمّ "دان" بالأعداد، اهتمام جبتو بها، كما اهتمّ بالصيادين والمحاربين، وكان يداوم الرحلة إلى عين شمس ليأخذ من حكمة جبتو ابن الآلهة. ارتحل إلى "أتريب" بوساطة من جبتو وبنات أتريب في عين شمس، بل واستطاع أن يقايض "هاجال" زعيمة أتريب بعدد من فتيان منف، مقابل عدد من فتيات أتريب اللائي لا يفوقهن أحد في إعداد النبال والسهام والرمي بها... وكانت الشائعات قد انتشرت في منف وعين شمس، أن النساء في أتريب كثيرات، وأنه لا يكاد يوجد رجال في أتريب وتاميلا وبسطا؛ حيث حكمت عليهم الآلهة بإنجاب النساء، ولو أنجبن ذكرًا، فإنه غالبًا ما يموت.

(أنقل -أنا مانيتون كاتب أسفار التكوين المصرية- جزءًا من بردية من عصر الدولة القديمة، عصر بناة الأهرام، تحكي عن رحلة "دان" و"مِرن" إلى "ميدوم" و"لاهون" في عصر ما قبل الأسرات.. تقول البردية؛ نقلاً عن نقوش قديمة: كان الجميع في منف يتهيّبون "دان" كأنه إله... ألح "مِرن" على "دان" أن تُوجّه بعثة سلام إلى "ميدوم"، وأكدت "هاجار" زوجة مِرن أن قلوب "اللاهون" و"ميدوم" قريبة من قلوب أهل منف، وإن كان اللسان يختلف في بعض نُطْقه. كذلك فإن تاسوع الآلهة واحد.. وأُعِدّت الرحلة إلى ميدوم، وذلك في شهر بشنس، قبل أن يُعْمِل حابي شادوفه السماوي فيكون الفيضان، وذلك في العام الثالث بعد الرحلة

الأولى. التي أسر فيها "مِرِن" "هاجار" زوجته الميدومية... ترك "دان" الحكيم العرّاف "ساكبو" في منف نائبًا عنه، وأخذ معه "ميدم" قائد الأرمات والطوّافات، و"مِرِن" وزوجته "هاجار" التي أصبحت تعرف لسان منف، كما تعرف لسان اللاهون في ميدوم، وحُمِّلت الطوّافات والأرمات بالصيادين المقاتلين، كما حُمِلّت جرار الجعة، وجرار القمح وسلال الفواكه... تقدّمت البعثة في اتجاه الجنوب، بعكس اتجاه تيار الماء، وبالاعتماد على المجداف والشراع والمذراة... كُلِّف الجنود بإحداث ضوضاء بالقرع على الطبول؛ حتى يشعر بهم أهل ميدوم... وأخذت "هاجار" تصيح: "راعو، لاهو، لاهون". وبدأ رجال وصيادو ميدوم يراقبون الأرمات والطوّافات... ولـمّا اقتربت الطوّافات والأرمات من قرية ميدوم، بدا على أهل ميدوم أنهم عرفوا "هاجار"، وأنهم أصبحوا يشعرون بالأمان بالرغم من وضع الاستعداد للقتال الذي ظهروا به.. ولـمّا كلّمتهم "هاجار" أبدوا تفهّمًا لِـمَا قالته لهم).

تقدّم دان ومرن وميدوم وهاجار من مركز قرية "لاهون" وخلفهم بقية الجنود الصيادين من أهل منف، يحملون جرار الجعة والقمح وسلال الفاكهة، ولـمّا قُدِّمت الهدايا، زاد الاطمئنان لدى أهل "لاهون"، وبعد أن شربوا الجعة، أمر زعيمهم "ياي" رجاله فوضعوا أسلحتهم، واستعدوا لإطعام الضيوف... أثناء ذلك قام "ياي" وعدد من رجال "لاهون" باصطحاب الجبتيين لإلقاء نظرة على القرية؛ فشاهدوا حظائرها، وبيوتها ومعبدها ونارها... ورأوا مجموعة من "اللاهون" يقيمون جدارًا لبيت باستخدام كتل من الطين ذات أشكال متساوية، فعرفوا من الميدوميين كيف تُصنْع هذه المكعبات التي تسهِّل عمل الجدران، كذلك رأى الجبتيون من أهل منف، رجالاً ونساء من أهل ميدوم، وهم يمتطون ظهر حيوان يسمونه "آس"[١٣] وينقلون على ظهره كثيرًا من أثقالهم.

أكل المنفيون، غير اللحوم والأسماك، أطعمة أخرى نباتية مطهوّة في النار في أوعية فخارية... وشرب أهل "ميدوم" من "اللاهون" المزيد من الجعة المنفية... كذلك قدّم الميدوميون للمنفيين "الكاني" ممزوجًا "بالماني"[١٤].

توطّدت العلاقة سريعًا بين "دان" زعيم منف، و"ياي" زعيم ميدوم واللاهون، وقضى المنفيون الليل في ميدوم... وارتضى اللاهون اسم "ميدوم" علمًا على قريتهم، بعدما فهموا أن المنفيين أطلقوا اسم "ميدوم" قائد طوّافاتهم على قريبهم؛ لأن قدمه كانت أول قدم وطأت أرض اللاهون، في الرحلة الأولى... كما

فهم المنفيون أن "اللاهون" قبيلة ضخمة موزَّعة على عدَّة قرى من "ميدوم" وحتى "طينا" على امتداد النهر العظيم. وعرف المنفيون ان "اللاهون" يقدِّسون "رع" و"خِنُمْ" وبعضهم يقدِّسون "أتوم" وأن تاسوعهم هو نفسه تاسوع الجبتيين؛ مما يعني الاشتراك في السلالة والدم. عرف الميدوميون من هاجار القمح، الذي أهْدِيت إليهم جرار من حبوبه، وعرفوا منها صناعة الجعة والخبز.. كما نقل المنفيون عن الميدوميين بعض الحبوب كالفول والعدس...

بعد الإفطار، من صبيحة اليوم التالي، حُمِّلت طوافات المنفيين بهدايا من جرار الفول والعدس. وأخذت "هاجار" بعض بنات ميدوم ليعشن معها في منف، كما ترك "دان" لياي ثلاثة من الفتيان ليعيشوا في ميدوم. ومعهم أسلحتهم التي منها بعض الرماح ذات الرءوس النحاسية، وكان هؤلاء الثلاثة من المشهود لهم في بناء الطوَّافات... سار معظم المنفيين بطريق النهر بالأرماث والطوَّافات، وسار بعض الصيادين الجنود من المنفيين بالطريق البري الموازي للنيل، وهم يمتطون الحمير التي أهْدِيت لهم من ميدوم، ويسحبون أعدادًا إضافية من الحمير ذكورًا وإناثًا.

الإصحاح السادس

في عين شمس، كانت جبتانا -زوجة جبتو- تلحّ في تحذير ابنها "كونو" قائد المائة [15] من شر الطبيب الكاهن "دِبْحِن"؛ وذلك لأنها لم تجد استجابة من زوجها "جبتو" لتحذيرها إياه من شر "دِبْحِن".. وكانت "جبتانا" تشعر بأن "دِبْحِن" يكن ضغينة لجبتو وكونو، بل يكره الجنود الصيادين أتباع جبتو وأصدقاء كونو.

مضت سبع سنوات على توثيق الروابط بين منف وميدوم وعين شمس وأتريب، وامتدت العلاقات جنوبًا خلال قرى "اللاهون" حتى الفيوم و"أهناسيا" و"تونا" و"ليكو" و"طينا" ثم امتدت آخر الأمر إلى طيبة... وامتدت شمالاً في مناطق قرى المستنقعات بعد "أتريب" إلى مناطق زارعي التيل والكتان...

انتشرت عادة امتطاء الحمير على المدقّات والطرق الممتدة على طول النهر العظيم وفروعه وترعه وقنواته... كذلك صار الحمار يُسْتَخْدَم في فصل الحبوب عن التبن في أجران القمح والفول والعدس والشعير... ثم أُسْتُخْدِمَت الحيوانات المستأنسة الأخرى، وبُنِيت مخازن بالطمي لتخزين الحبوب.

كان المبجّل "دِبْحِن" كاهن عين شمس لا يرتاح للسمعة الطيبة التي اكتسبها "جبتو" سليل الآلهة؛ فقد كان كل راكبي الأرمات والطوّافات في النهر يردِّدون اسم جبتو.. وكذلك فإن بعض طيور السماء تصيح فتقول: "جب تو"... والذين يمتطون ظهور الحمير على الطرق الموصِّلة بين القرى. كانوا يذكرون جبتو بالاحترام والتقديس، وكان اسمه يتردَّد بين الزُّراع وصيادي الأسماك في مستنقعات الشمال، بل وكان يردِّد اسمه (المقايضون على النطرون والملح وعروق النحاس من القادمين من الشرق ومن الشمال).

حكمت الآلهة بالمرض على جبتو. فأقعده المرض في بيته بجوار معبد عين شمس، وتردَّد عليه الزوار من الشمال والجنوب حاملين له الهدايا والتقدمات لتُحرْق على الأحجار المقدسة... والمراقبون للمبجل "دِبْحن" لاحظوا أن هدايا التقدمة كان القليل منها يُقَدَّم للآلهة. أمّا أكثرها فكان يذهب إلى حظيرة دِبْحن الخاصة.

توفي جبتو في العام الثامن عشر من تأسيس عين شمس في اليوم العاشر من شهر بشنس... وجاءت الوفود من قرى الأرضين لحضور دفن جبتو... وكان مع كل وفد، كاهن القرية وعدد من كهنة رع، وكهنة الآلهة المحليين من أمثال: خِنُمْ وتحوت وبتاح وبقية التاسوع.

تم تحنيط جسد جبتو، ولُفَّ الجسد بشرائط من التيل والكتان. ثم وُضِع في صندوق من خشب الجميز والسنط... وحُمِل على محفَّة يجرُّها ثوران، وساروا حتى وصلوا إلى التلال الغربية الجافة، ووُضِع التابوت في الحفرة المُعَدَّة، والرأس متَّجه لمشرق رع، ثم أُهيل التراب على التابوت، وتعاونوا جميعًا فجعلوا على تراب القبر مصطبة كبيرة مربعة من الأحجار... ووقف المبجَّل ساكبو كاهن منف الأول يردِّد هذه السورتا أو الترنيمة، ويردِّدها خلفه شمامسة معبد عين شمس: "أيها الإله الأول أتوم، أي رع رب الأرباب، أي بتاح الإله الصانع... أيها التاسوع المقدس... نرسل إليكم "جبتو" بن "جبتو مصرايم" الذي هو من نسل الآلهة، ليكون كأحدكم في السماء... لقد أعددنا جسده، ليرقد في أحضان "جب" إله الأرض، وليكون في رعايته، وسوف يظل جسد جبتو سليمًا، حتى تتعرَّف عليه أخته "كا" فتدل عليه روحه "با" فيتصلان ويحيا جبتو من جديد إلهًا في السماء، بل ملكًا متوجًا على الآلهة، مثلما كان راعيًا صالحًا للسلالة الجبتية على الأرض... أيتها الآلهة المقدسة، سوف نقدِّم لك التقدمات والذبائح لتُحرَق على أنصابك المقدّسة، فتصل إليك روائحها في الأعالي، لتكوني معنا -أيتها الآلهة- ولتفيضي بخيرك على كل الجبتيين".

بعد العودة من الغرب، حيث دُفِن جبتو، وقف الجميع خارج معبد عين شمس يتناولون -بحكم عوائدهم- شيئًا من خبز القربان، إشارة إلى أن الميت لا يزال معهم وفيهم، ووقف "دِبْحِن" كاهن عين شمس الأول يعلن أن الآلهة أوحت إليه من خلال "جبار" سفير الآلهة، ومن خلال رؤيا المنام: (وأثبت -أنا مانيتون- ما أوحت به الآلهة حول شعيرة الصيام والإفطار على الكوشير [١٦])... يقول متن من متون الأهرام: يقيمُ كل الجبتيين في الأرضين، حيث إن الكلَّ في قبضة يد رع وخنم وبتاح وجب ونيت ونوت وبقية التاسوع، شعيرة الصيام ليوم واحد من فجر اليوم الحادي عشر من بشنس، حتى غروب ذلك اليوم... ليكن الصيام عن الطعام والشراب... وليكن الإفطار تحية لرع الذي علّم السلالة الجبتية كيف تزرع القمح والحبوب، وكيف تستخدم الحيوان لفصل الحبوب عن القش... وليفطر الجبتيون

على "الكوشير" المكوّن من حبوب القمح والعدس والفول والحمص والثوم والبصل، مطهوًا في الأواني الفخارية على نار نوت سيدة السماء).

أوصى "دِبـْحِن" بصيام ذلك اليوم، والإفطار على "الكوشير"؛ والقرية التي لا يصل إليها الخبر في الوقت المناسب، عليها أن تصوم -هذا العام - في أي يوم من بشنس، لكن في الأعوام التالية، يصوم الجميع في اليوم الحادي عشر، ويفطرون على الكوشير... وهدد "دِبـْحِن" باسم الآلهة: "والذي يخرج عن شعائر الآلهة سوف يتعرّض لعقابها بالمرض أو بموت الأهل والولد..."، وصار يوم "كوشير" عيدًا مصريًا تكثر فيه تقدمات الشعب إلى الكهنة، وتقدمات الكهنة للآلهة.

قال كاهن شاب من أعداء "دِبـْحِن" لزميله بخبث: "لماذا حدّد المقدّس "دِبـْحِن" اليوم الحادي عشر من بشنس للصيام؟ أتراه يحتفل بيوم القمح؟ أم يحتفل بخلوّ الساحة له بموت "جبتو" بن "جبتو مصرايم"؟!

هوامش سِفْر القمح والكوشير

١- تعبير مألوف في المتون المصرية: "قريب بالقلب، مختلف في اللسان" القلب تعني التفكير، وربما تعني الانتماء لآلهة مشتركة (أو توتم)، والواضح أن مصر القديمة كان يسودها لسان واحد مع تعدُّد اللهجات (واللسان الواحد من أهم أسباب وحدة مصر).

٢- "قمة الغرب" إلهة من إلهات الخصوبة والإنجاب (مثل عشتار آشور وفينيقيا).

٣- راجع الترانيم والمزامير عند: جيمس هنري برستد، وسليم حسن؛ وكذلك بردية تورينو، وبرديات جاردنر.

٤- نوتي: كلمة مصرية الأصل أُضيفَت لقائمة الكلمات العالمية؛ تعني ملاحظ الدفَّة، أثَّرت في الساميات واليونانية واللاتينية (عن لويس عوض شخصيًا).

٥- تُسمَّى أعواد "الكبريت" في اللغة العربية "بالثقاب" إشارة للطريقة القديمة في إيراء النار اعتمادًا على "ثُقْبٍ" يُدَار فيه عود.

٦- معرفة الأسماء في القديم، وسيلة للسيطرة وأعمال السحر... وهذا يرجع إلى "أسر" اللغة، وتأثيرها المقدَّس باعتبارها هبة من السماء.

٧- لا نستبعد قصة "وفيات الذكور"، ليس لأسباب تتعلَّق برع والآلهة، ولكن لأمراض معينة كانت تتفشَّى في تلك المجتمعات المغلقة؛ حيث كانت الوراثة تعمل عملها.

٨- يؤكِّد جيمس هنري برستد على أن "الأسرة والتضحية للأبناء" هي من أهم أسباب فجر ضمير الإنسانية (راجع فجر الضمير: جيمس هنري برستد).

٩- تلاميذ المعابد الذين ينسخون النصوص المقدَّسة، مشهورون في مصر القديمة، ويرى بعض أساتذة فقه اللغة أن كلمة "تلمود" العبرانية مأخوذة عن الجذر المصري لكلمة "تلميذ" (لويس عوض شخصيًا).

١٠- راجع يوم "النقطة ـ نقطة الخميرة" عند إدوارد لين "الأخلاق والعادات عند المصريين المحدثين"؛ ولا يزال الفلاحون في مصر يؤمنون بيوم النقطة إلى الآن.

١١- القمح من أهم منجزات الحضارة المصرية، وهي حضارة زراعية تعتمد على الحبوب التي تؤدي إلى المزيد من أعداد البشر، وتؤدي إلى ظهور التنظيمات

المركزية للزراعة والري والطرق، وفي النهاية تتبلور الدولة كسلطة عليا، وينمو الدين مع هذا الخط من التوتم البسيط إلى الدين القومي العام.

١٢- بِتَّاو.. تعني "الخبز" وتعني الحياة، ومثلها تمامًا كلمة "عيش" على ألسنة العامة في مصر.

١٣- الآس أو الحمار هو من الحيوانات الأولى التي استأنسها المصريون.

١٤- "الكاني" السمن أو اللبن، يُمْزَج "بالماني" أي العسل، ولا يزال "الكاني والماني" يدور على ألسنة المصريين.

١٥- "قائد المائة" تعبير يعني قيادة الجنود (بصرف النظر عن العدد).

١٦- "الكوشير" طعام مصري للإفطار عقب الصيام، وهو من حبوب القمح والفول والعدس والحمص، مع الثوم والبصل، مطهوًا في النار... واليهود أخذوه عن المصريين، ولا يزال المصريون يأكلونه إلى اليوم، وإن غيَّروا في طبخه فاستبدلوا الأرز بالقمح، كما غيَّروا في اسمه وجعلوه "كُشَرِي"... ونعتقد أيضًا أن العبرانيين أخذوا عادة أو شعيرة الختان عن المصريين.

سِفْر المتحدون بالقلب واللسان

"جذور المصريَّة والوحدة"

الإصحاح الأول

دخلت "جبتانا" صامتةً واجمة، بيت ابنها "كونو" قائد المائة، وأخذت تربت على رأس "تانا" الأتربيبة زوجة ابنها التي هدّها الحزن والأسى لفقد ابنها "دوزير". ثم احتضنت "جبتانا" حفيدها الأصغر "أوزير"، الذي انزوى حزينًا لفقد أخيه الأكبر الذي قِيل إن التماسيح قد افترسته.

أصرّ "كونو" قائد المائة، وابن جبتو وجبتانا، على اتهام المبجّل "موبي" أحد أتباع "دِبْحِن" بقتل ابنه "دوزير" وإلقاء جثته لتماسيح النيل، وكانت شائعات قوية تتردّد في عين شمس، بأن "موبي" هو قاتل "دوزير" بإيحاء من "دِبْحِن"، وبأن الصبي "ساسو" ابن "عتهب" رأى "موبي" يلقي بجثة "دوزير" في مياه الفيضان... قال "دِبْحِن" "لكونو": "لك أن تتهم المبجّل موبي، وأنت تعلم إجراءات محكمة تحوت، ذلك أن الجثة غير موجودة، وهذا يقتضي أن تُقَدِّم ثورين، بدلاً من ثور، لتاسوع الكهنة، ويُقدِّم الكهنة لتحوت ورع تقدمة الرأسين والأرجل والجلدين والذيلين لتُحْرَق على الأحجار المقدّسة، ثم يتناول الكهنة المبجّلون وجبة الشهادة المقدسة، وبعد أن يستيقظوا من نومهم، وأحلامهم التي يمدُّهم بها تحوت ينطقون بالشهادة المقدسة". وأصر "كونو" على الاتهام بالرغم من رجاء أمه جبتانا أن يتنازل عن الاتهام...

وأكل المبجّلون وناموا واستيقظوا ليعلنوا أن "موبي" بريء، وأن على كونو، أن يعتذر لمجمع كهنة عين شمس المبجّلين الذي يضمُّ كلا من "دِبْحِن" و"موبي".

قرب مرفأ عين شمس على النيل، منطقة رملية منخفضة، تصلها مياه الفيضان عند الذروة في شهر أبيب... وكانت بنات عين شمس ونساؤها يغتسلن ويغسلن ثيابهن في هذه البركة التي لا تصل إليها التماسيح، كما لا تصل إليها عيون المتلصصين من الشباب، حيث تحيط بالبركة الصخور والأدغال من معظم الجهات... وذات مرة قالت "تانا" الأتربيبة، زوجة كونو فارعة الطول، لبعض النساء: "حين كنا نغتسل شعرتُ بمَنْ يتلصص ليرانا ونحن عاريات... وتسلّلتُ خلف الأدغال؛ فرأيت الكاهن المبجّل موبي، راكعًا بين الصخور والأشجار ممعنًا النظر في النساء العاريات". وكان "كونو" يعرف تلك الواقعة... وبعد حكم محكمة تحوت، رأى موبي يسير في اتجاه البركة، بركة المستحمات، فأسرع "كونو" وكمن بين الأدغال،

وركع "موبي" بين الصخور يمتع بصره برؤية العاريات.. وتقدَّم "كونو" بحذر ومعه صخرة هشم بها رأس "موبي" المقدَّس.

في اليوم التالي، وبعد أن شاع خبر مقتل "موبي"، وسُحِبَت جثته إلى المعبد، دقت الطبول المقدسة، ونودي على أهل عين شمس بالقرون والأبواق، واجتمع الناس في ساحة القرية بالقرب من المعبد والمحكمة والنار المقدسة، وقال المبجل "دِبْحِن" لأهل عين شمس: "علمتم بما حدث... وسوف يقدِّم تاسوع المحكمة، الذي صار ثامونا بفقد المبجَّل "موبي"، ثورًا واحدًا لتحوت، حيث إن جثة المقتول حاضرة، وسوف يقدِّم المبجَّلون الرأس والأرجل والجلد والذيل لتُحْرَق على النُّصب المقدَّس، ثم يتناولون طعام الشهادة داخل المعبد منفردين، ويضربون الميت بما يتبقى من الذيل المحروق؛ فيصحو الميت ويخبر بمَنْ قتله... والحكم معروف: عين بعين، دمٌ بدم، حياةٌ بحياة..." وانصرف أهل عين شمس واجمين، وشاعرين في أعماقهم بخسارة فَقْد جبتو بن جبتو مصرايم، وبعدم التوفيق إذ وُلِّي عليهم المبجل "دِبْحِن" الذي لا يثقون به.

أسرعت جبتانا إلى بيت ابنها "كونو" لتوصيه بالهرب إلى منف، عند سيد منف "دان" تلميذ والده جبتو، وشقيقه هو بالروح، ولمَّا لم تجد "كونو" أوصت زوجته بالاستعداد للرحيل... وأعدت "تانا" للرحلة: أعدت الحمير، وجمعتْ أهم ما يمتلكون، وانتظرت حضور "كونو"... وفي المساء شاع أن الكهنة برئاسة "دِبْحِن" عيَّنوا "وان" بديلاً من "كونو" لقيادة المائة.. وشاع -كذلك- أن "كونو" قُبِض عليه وحُبِس في المعبد.

في الصباح دُقَّت الطبول المقدَّسة من جديد، واجتمع الناس في الساحة، بأمر من المبجَّل "دِبْحِن" كاهن عين شمس، لإعلان حكم الكهنة الذي أوحى به الإله "تحوت"... دقت الطبول دقات سريعة، وظهر "دِبْحِن" على مصطبة المعبد ليعلن في الجميع: "إن الكهنة المبجَّلين، بعد أن أكلوا "وجبة الشهادة" من ثور التقدمة... ضربوا جثة المبجَّل "موبي" ببقايا ذيل الثور؛ فعادت "الكا" إلى جسد موبي فاهتز وبدأ يتحرك، ثم ضربوه الضربة الثانية؛ فعادت إليه "البا" (1) فنطق وقال للجمع المقدَّس إنه تسلَّل خلف كونو، الذي تعوَّد أن يتلصص على المستحمات في البركة، ولمَّا اكتشف كونو أن المبجَّل "موبي" قد رآه، أسرع بسكينه النحاسية فذبح موبي، وكلكم يعلم أنه لا توجد سكين نحاسية إلا مع

كونو ومعي ومع "وان"... إن حكم الكهنة المبجّلين معروف. إنه شرع "تحوت": موتًا يموت كونو. وتُلْقَى جثته للسلالة المقدّسة للتمساح الإله "سوبك" في مياه النيل... وبحسب شريعة تحوت فإن "أوزير" ابن القاتل "كونو" يصبح من عبيد خدمة المعبد. كما تصير زوجته "تانا" الأتريبية جارية وخادمة للكهنة المبجّلين...".

وانشغل الكهنة. وانشغل معهم رئيسهم "دِبْحِن" بمراسم صرف الكا والبا. ومراسم تحنيط وتجهيز جسد "موبي" للدفن... وأسرعت جبتانا. فأمرت زوجة ابنها "تانا" الاتريبية. فهربت بحميرها وابنها "أوزير" بالطريق البرّي إلى "منف".

الإصحاح الثاني

وصلت الأنباء إلى منف؛ إذ إن الطوَّافات والأرمات صاعدة وهابطة في النيل والمستنقعات، تحمل الناس وتحمل الأخبار.. كذلك فإن الطرق والمدقَّات صارت تعجُّ بالمسافرين على الحمير من هنا وهناك، وكل يخبر مَنْ يلقاه بأهم أخبار المدينتين المقدَّستين... وعلم "دان" بما حدث فحزن لمصرع كونو بن جبتو الذي هو من نسل الآلهة، وحزن أكثر لأن كونو قد فقد اسمه كما فقد حياته السماوية في جنة الآلهة؛ لأن جثته، أطعم بها الإله "سوبك" نسله من التماسيح... قال المبجَّل "ساكبو" الكاهن الأول لمنف يحدِّث "دان": "ألم أقل لك إن "دِبْحِن" يريد فرض سلطانه على كل السلالة الجبتية؟! إنه قتل "كونو" تخلصًا من نسل الآلهة... وسبق أن أخبرتك بسعيه لفرض سلطانه على المجامع المقدَّسة والمجمَّع العام الذي يضمُّ كهنة الأرضين [٢]. إنه حين كان يتكلم بحرارة، في المجمَّع العام، حول اللسان المصري وضرورة أن تكون الصلوات كلها بلسان جبتو مصرايم، لم يكن هدفه وحدة اللسان ووحدة المصريين، بل كان هدفه السيطرة من خلال سيادة لغة واحدة"... وردَّ "دان": "بصرف النظر عن أغراض "دِبْحِن" المشبوهة، فإن اللسان الواحد أمر عظيم يوحِّد السلالة المصرية في الأرضين".

قُطِع الحديث بين "دان" و"ساكبو" بإعلان قدوم "تانا" الأتريبية وابنها الصغير "أوزير". وهمَّ دان وساكبو فاستقبلا "تانا" وابنها "أوزير" الذي هو من نسل الآلهة... وسَعِد دان لنجاة "أوزير" الصغير؛ لأن وجوده في كنفه، سيدعم مركزه في مواجهة "دِبْحِن" الذي يطمع في السيادة على الأرضين، من خلال السيادة على عين شمس ومنف...

وبحسب عوائد ذلك الزمان، أُعِيدَ تثبيت وتعميد بيت دان... بُنِي بيت جديد وأُلْحِق على بيت دان، بيت تقيم فيه تانا أم أوزير، وأسرع "ساكبو" بإجراءات التعميد والتثبيت الجديد لبيت دان، وذلك في معبد منف؛ فصارت تانا الأتريبية فارعة الطول زوجة ثانية لدان، وصار "أوزير" ابنًا ثانيًا لدان بالعماد، وأخًا لست وإيزي ونفتي... ولم يكن هناك فرق في ذلك الزمان بين أبناء الصلب وأبناء العماد.. وهكذا صار "دان" أبًا للطفلتين إيزي ونفتي والطفل ست والطفل "أوزير" الذي هو من نسل الآلهة.

بعد انتهاء مراسم دفن "موبي" التقى "دِبْحِن" سيد عين شمس الحالي وكاهنها الأكبر بدان سيد منف الذي كان يرافقه "ساكبو" كاهن منف الأكبر... قال "دِبْحِن" لدان: "سمعتم في منف عن حكم محكمة تحوت... لقد نفّذنا نحن في عين شمس الجزء الأهم من الحكم وهو إعدام كونو وإطعام التماسيح المقدّسة بجثته... وعليكم -أنتم- في منف أن تسلمونا تانا الأتريبية والصغير "أوزير" للخدمة في المعبد المقدّس".

ردّ دان: "... أخبرتني تانا الأتريبية -زوجة كونو ابن الآلهة- بأن الذي اعتاد التلصص على المستحمات هو "موبي" لا "كونو".

ردّ "دِبْحِن": "ليس من الإنصاف أن نترك كلام المجمّع المقدّس، كلام التسعة الذين صاروا ثمانية، ونأخذ بكلام امرأة أتريبية... هذا خروج على الأعراف والشرع"؛ فتدخل المبجّل ساكبو كاهن منف قائلاً: "من العرف والشرع - أيضًا -أيها المبجّل "دِبْحِن" أنه طالما وصل الاتهام إلى أحد التسعة في مجمعكم، فالمفروض شرعًا أن يجتمع مجمّع منف مع مجمّع عين شمس لتقرير الحكم.. إننا في منف نعتبركم قد بعُدتم عن الماعت [٣] أو العدالة، ونعتبر حكمكم كأن لم يكن، ونعتبركم أنتم الثمانية مسئولين عن قتل كونو ابن الآلهة".

احمرّ وجه "دِبْحِن" غيظًا وقال: "إنكم في منف لا تريدون الإقرار بجناية كونو، وتريدون الاحتفاظ بالصغير أوزير ابنه لتدعيم مركز "دان"، والإعلان عن بنوة "أوزير" بالعماد والتثبيت لأبيه بالعماد "دان".

صاح دان: "نعم.. صار أوزير ابنًا لي في العماد، وصار أخًا لابني ست وابنتيّ إيزي ونفتي، وصارت تانا الأتريبية زوجة ثانية لي".

ونزل "دان" و"ساكبو" ومَنْ معهما من الجنود الصيادين إلى مرفأ عين شمس، حيث كانت في انتظارهم ثلاث طوّافات مصنوعة من خشب السنط، وعليها البحارة والمجدّفون ومستخدمو المذراة... ركب الجميع في صمت... وصعدوا في اتجاه منف...

انحسر الفيضان في العام العشرين من تأسيس عين شمس، وتوقّف الإله حابي عن العمل بشادوفه لنقل المياه الحمراء من أنهار جنة الآلهة إلى النيل...

وظهر الطمي وأصدر "دان" أوامره بطلاء جميع البيوت والمعبد ومحكمة تحوت بالطمي...

تحدّث مرن "قائد المائة"، وميدوم قائد الأرمات والطوّافات إلى "دان" و"ساكبو" محذِّرين من انتشار ظاهرة "النار الخاصة" والحظيرة الخاصة لكل أسرة في منف... وردَّ دان على مرن وميدوم قائلاً: سبق أن ناقشنا هذا الأمر، في الاحتفال بيوم النقطة، نقطة الخميرة، ليلة الحادي عشر من بؤونة [٤] واتفق معي المبجّل "ساكبو" على ترك الحرية لكل أسرة في منف في أن يكون لها نارها الخاصة وحظيرتها الخاصة وطعامها الخاص... وحدّدنا أعداد الصيادين المقاتلين من كل أسرة، الذين يجمعون لحظة الاستغاثة عند مصطبة المعبد [٥]... كما أن "أوزير" ابن الآلهة سجل بإشارات الإله "بتاح" [٦] أسماء الشباب و الفتيان في كل أسرة على قطع الأستراكا [٧] تحسبًا لأي طارئ... انتهينا يا "مرن" من هذا الأمر ليلة النقطة... وترتّب على ترك الحرية للناس أن ازدهرت منف، وصارت مرهوبة الجانب....".

صنع أوزير -كثير الحيل- بوحي من "بتاح" سفينة من خشب السنط، وترك الحواف الخارجية للمجدفين بالمجاديف، والدافعين بالمذراة وسارية الشراع ونوتي القيادة... وجعل في وسط السفينة أقفاصًا لحيوانات وطيور الصيد، ومخازن لِمَا يُلْتَقَط من ثمار... وأبدع أوزير في استخدام الشراع، وتوجيهه بالحبال، حتى أنه لم يكن في حاجة إلى معاونين غير أمه تانا... وبرع أوزير كذلك في صنع الشباك والخيّات والشصوص... ولهذا كان أوزير وأمه يعودان بالخير الكثير من رحلاتهم في مستنقعات النيل... وامتلأت حظيرة أوزير بكافة فصائل الحيوان، كما امتلأت أقفاص بيته بالطيور...

كان دان سعيدًا بابنه أوزير، خصوصًا وأن أوزير كان دائمًا يحاول الاستعانة بأخيه ست وأختيه إيزي ونفتي؛ بهدف تدريبهم على كافة الأعمال...

قال "دان" لصديقه "ساكبو" كاهن منف: "أشعر بأن الآلهة تبارك "أوزير"؛ فقد خرجت معه بالأمس في رحلة صيد بدلاً من أمه "تانا"، فكان صيده أكثر مني، لقد ملأ أقفاص السفينة بالحيوانات والطيور، وجمع الكثير من الثمار والفواكه... إنه يلقي بالكثير من اللحم لنسل الإله "سوبك" من التماسيح، حتى تعوّدت عليه التماسيح وصارت تنتظر سفينته، كذلك فإنه يلقي بالإغصان

المورقة لأفراس النهر حتى ألفته فأصبحت تهوى رفقة سفينته.... إنه كريم ويفوق أقرانه، حتى أن الكبار يحترمونه ويجتمعون على مائدته، ويأخذون رأيه في الأمور".

قال "ساكبو" ردًا على "دان": "لا جدال في أن الآلهة تباركه، إن أوزير ابنك بالعماد، هو من نسل "جبتو مصرايم". والمعروف أن الآلهة لمَّا هجرت الأرض إلى السماء، جعلته نائبًا عنها؛ إذ إنه ابن أتوم... وإن سليله أوزير قد ورث الكثير عن الآلهة التي ترشد قلبه ويديه ولسانه".

الإصحاح الثالث

صارت السيادة في "حكا عز" أي عين شمس للمبجَّل "دِبْحِن". صحيح أن "دان" هو قائد المائة، كما أن "لابانو" صار زعيمًا بالاسم لمنف بحكم صلته القديمة لجبتو، إلا أن السلطة الفعلية كلها بيد "دِبْحِن" رئيس التاسوع المقدس لإيون الشمالية التي هي عين شمس أيضًا.

زادت مخاوف "دِبْحِن" من قوة منف بزعامة دان، وخصوصًا بعد أن صار أوزير ابن كونو، ابنًا بالعماد لدان... كذلك زادت كراهية أهل عين شمس لـ "دِبْحِن". حتى أن أعدادًا من أسر عين شمس، كوّنوا قرية جديدة شمال عين شمس وجنوب أتريب، في منطقة المستنقعات التي تقع عند التقاء نهر أرض البوصة بفروع أرض النّحلة (٩)؛ وذلك بدعوى تجفيف المستنقعات لزراعة القمح و البقول (٧).

ذات مرة قال "لابانو" لـ "دِبْحِن": ".... علينا أن نترك للناس الحرية في أن تكون لكل أسرة نارها الخاصة وحظيرتها الخاصة وطعامها الخاص، مثلما فعلوا في منف..."

ردّ "دِبْحِن": "إن عين شمس هي مدينة الآلهة، وهي سيدة أرض الآلهة، أرض مصر، أرض جبتانا؛ لهذا سوف تظل عين شمس أسرة واحدة، ذات مائدة واحدة، وحظائر واحدة، وجيش واحد... وإن هذا التجمّع هو الذي يؤدي إلى قوة عين شمس.

سكت "لابانو" الذي يعلم أن منف بزعامة دان المتسامح، أقوى بكثير من عين شمس التي تعاني من تسلُّط "دِبْحِن" ومعاونيه.

شعر "كوفو" ابن "لابانو" بتدهور الحال في عين شمس، خصوصًا بعد أن تأكّد له أن الأتريبين وأقاربهم الشماليين من أهل إقليم النحلة في "سايس" صاروا على علاقة وثيقة بمنف، وأن المراكب، صاعدة وهابطة في النيل وفروعه بين منف و سايس، تؤكّد على العلاقات الوثيقة والتحالف بين منف والشماليين... كما أن "سايكا" زعيم "سايس" يكثر من تبادل الزيارات مع "دان".... كذلك تأكّد

لكوفو أن "النحاس" قد حلّ محل الحجر في صناعة معظم أسلحة المنفيين وأدواتهم، كما هو الحال في أرض النحلة في الشمال؛ لهذا استأذن "كوفو" أباه "لابانو" وأخذ زوجته المنفية "يارا" وركب طوّافته، مستغلاً مياه أواخر الفيضان، ورحل إلى سايس؛ حيث رحبوا به باعتباره من الجيل المقدّس، الذي سمع الحكمة من لسان "جبتو" بن "جبتو مصرايم" ابن الآلهة.

سألت "هاجال" زعيمة أتريب الفتاة "ساسا" المتزوجة في عين شمس: "كيف الحال في عين شمس؟ وما رأيك في زعامة المبجل دِبْحِن ؟".

ردّت ساسا: "الأوضاع سيئة في عين شمس... المبجّل "دِبْحِن" بعيد عن "الماعت" والعدل في توزيع الحبوب والفرائس والثمار، وبعيد عن العدل أيضًا في التسخير لما تطلبه الآلهة من شقّ الترع والقنوات والمصارف وتجفيف المستنقعات.. صار الشباب يسرقون الحبوب من شونة الآلهة، ويستولون على البقر والغنم المنذور للتضحية كقرابين للتاسوع.

سألت "هاجال" "نارمر" زوج "ساسا" الذي نزح من عين شمس إلى "أتريب" عن الأوضاع في عين شمس، فقال: "زاد الاحتجاج والكلام في عين شمس بالرغم من تسلُّط "دِبْحِن" وبقية المبجَّلين... كانوا يحاكمون فتى سرق كبشًا من حظيرة النذور؛ فإذا بالشاب يجيب على الكاهن القاضي: إن شريعة تحوت لا تسمح بالسرقة من حظيرة النذور، إلا أنني قد رأيت المبجّل "دِبْحِن" وجنوده يأخذون الكباش من حظيرة النذور لأنفسهم، لا للذبح والحرق على الأنصاب... بل رأيت "دِبْحِن" يعطي كبشًا لواحدة من الفتيات التي تعرف كل الرجال" [11].

سأل أحد كهنة عين شمس فتى من الرعاة: "لماذا لم تقدِّم للآلهة باكورة شياهك كما تقضي شريعة رع وتحوت؟" فإذا بذلك الفتى المهرطق [12] يقول للكاهن: "لو عرفت أين يوجد الله، لقدّمت إليه باكورة شياهي، حتى لا تضل شياهي طريقها إلى السماء فيأخذها الكهنة".

علا صوت شاب آخر يقول لأحد الكهنة: "لم نرَ نار الآلهة تهبط من السماء لتلتهم القرابين.. وكل ما رأيناه أن نار الكهنة هي التي تأكل القرابين، لا نار التاسوع المقدّس".

وشاركت امرأة في هذا الاحتجاج والتمرُّد قائلة: "تعوَّد كهنتنا المبجَّلون أن يرفعوا أثواب الصبية، ليروا إن كانوا مختونين أم لا. ليس حبًا في الطهارة وتنفيذًا لشرع الآلهة، بل طمعًا في إوزات الفقير الثلاث التي تُدْفَع للختان، أو طمعًا في كبش الغنيّ..".

باركت الآلهة "سايكا" زعيم سايس [١٣] باعتباره بطل "أرض النحلة" تلك الأرض التي "تفيض لبنًا وعسلاً" وهي أرض الشمال؛ وذلك بعد انتشار أخبار سحق "سايكا" للمتسللين البدو، الذين يفدون من الصحراء الشرقية وسيناي للإغارة على أطراف أرض النحلة، لسلب ما تصل إليه أيديهم من نساء وأطفال وماشية....

انتهى فيضان هذا العام، الثالث بعد رحيل "تانا" وابنها أوزير لمنف، والثالث والعشرون منذ تأسيس عين شمس... وجفَّ الطمي في المستنقعات والأراضي المنخفضة حول منف، وبدأ المنفيون في استخدام فئوسهم لحفر الأرض استعدادًا للبذر... فوجيء المزارعون بابتكار جديد للفتى أوزير: فقد طور فأسًا، وجعل له سلاحًا مستطيلاً من النحاس، وركَّب نيرًا [١٤] للفأس بحيث يجُرُّه ثور أو ثوران، وتبيَّن أن "المحراث" الجديد، يستطيع باستخدام الثيران حراثة "الأرورا" أو "الإستات" [١٥] في ربع نهار... حين وفَّقت الآلهة "أوزير" فعرَّفته المحراث، وظهر أثر استخدامه... زادت حماسة أهل منف للعمل؛ إذ باتوا يشعرون بأن الآلهة معهم وبأن الآلهة وهبتهم أوزير، الذي هو من نسل الآلهة، لمباركة سعيهم وكدِّهم... فالزُّرَّاع الآن أكثر حماسًا في عملهم، والرعاة يبذلون أقصى الجهد في تسمين قطعانهم، والصيادون في النيل والأحراش والمستنقعات يثابرون للحصول على صيد وفير، والحظائر الخاصة، وحظائر المعبد والنذور تحظى بالرعاية من الجميع... وتضخَّمت "شوَن" القمح والحبوب في منف، وصارت منف قادرة على شراء "النحاس" من الشرق والشمال؛ ومن ثَمَّ طوَّرت منف أدواتها.

(أثبت.. -أنا مانيتون السمنودي- أن بعض المنسوخات البردية، والمتون القديمة تروي أن الآلهة قد وفَّقت الفتى أوزير -أثناء صهره وسبكه لسكين نحاسية- إلى صنع سكين جديدة من النحاس والقصدير، أكثر صلابة وقوة من السكين النحاسية؛ ومن ثَمَّ تحوَّلت آلات وأدوات منف إلى المعدن الجديد) [١٦].

فكّـر "دان" في عمل إحصاء عام لأهل منف.. وقرَّر أن يكـون هـذا الإحصـاء كلّ عامين. وشاركه الرأي الكهنة المبجّلون وعلى رأسهم "ساكبو" الـذي أوصـى بإحصاء عام لأهل منف[١٧] كلّ عامين. كما أوصى بحصر الأرض الزراعية وأسماء المالكين لها. وحصر الأراضي الجديدة التي تُضَمُّ بعد تجفيفها واقتطاعها من المستنقعات. أو تلك التي تُشَقُّ فيها الترع فتصل إليها المياه فتحييها.

قالت "تونا" -الزوجة الأولى لدان- لابنها ست: "عليك أن تبذل قصارى جهدك؛ فالآلهة يباركون مَنْ يعرق ويتعب. عليك أن تشارك في حفر الترع والقنوات. وأن تسهم بنتاج قلبك وعمل يدك وقول لسانك. حتى ترضى عنك الآلهة فيباركوك. وحتى تصبح مثل أخيك بالعماد أوزير ابن "تانا" الأتريبية... سمعنا أن الآلهة وفّقت "أوزير" إلى صنع ألواح بردية من سيقان البردي. قدّمها للمبجّلين في المعبد ليثبتوا عليها إحصاء الناس والأراضي... أريدك يا بني أن يكون قلبك مفكرًا[١٨] كقلب أوزير. وأن تكون يدك ماهرة مثله. ولسانك كلسانه...".

ولم يكن ست مرتاحًا لكلام أمه "تونا". كما أنه لم يكن مرتاحًا للعلاقة الطيبة بين أمه وأم أخيه في العماد أوزير. كذلك كان يأسف؛ لأن أباه كان أقرب إلى أوزير منه. كذلك أختاه إيزي ونفتي. كانتا أقرب إلى أوزير المحبوب من الجميع.

الإصحاح الرابع

كما توثّقت العلاقة بين منف وأتريب وكافة مقاطعات أرض الشمال، أي أرض النحلة "التي تفيض لبنًا وعسلاً". توثّقت علاقتها -أيضًا- بأرض الجنوب، أي أرض إقليم البوصة (ما بين جنوب منف وأسيوط) وإقليم الثعبان (ما بين أسيوط وقفطو) وإقليم النسر (ما بين قفطو والفونتين)...

في العام الرابع من رحيل أوزير إلى منف، الرابع والعشرون من تأسيس عين شمس، جهّز المنفيون بعثة صداقة وسلام تتّجه إلى الجنوب، بقيادة "دان" ومعه المبجّل "ساكبو" كبير كهنة منف، و"مِرِن" قائد المائة زوج هاجار الميدومية، وعدد من الجنود الصيادين حُمّلت السفن والطوّافات بالكثير من الهدايا... نزلوا بميدوم أولاً، حيث التقوا بالزعيم "ياي"، وقُدِّمت الهدايا لياي والميدوميين، وكان أهمها بعض السكاكين والسيوف والأدوات النحاسية وكميات من الملح والنطرون، ومائة ثوب من الكتّان.

في اجتماع المعبد بين الميدوميين والمنفيين، وبحضور كاهن ميدوم واللاهون المبجّل "زِناو"، وقائد المائة "هَرِيدو"، اتفق الجميع على توحيد اللسان في المعبد والصلاة في كل من منف وميدوم واللاهون... خصوصًا وأنه قد ثبتت للجميع حقيقة أن ألسنتهم ذات صلة وثيقة باللسان المقدّس لجبتو بن "جبتو مصرايم" الذي هو من نسل الآلهة.

تحدّث "دان" والمبجّل "ساكبو" عن الغزاة من الشرق، وأن أهل سايس بزعامة "سايكا"، يقومون بجهد كبير للتصدي للشاسو والعمو والبدو الذين يحاولون التسرّب إلى خيرات أرض النحلة، ومعهم شعارات آلهة أخرى... وأعلن "ياي" أنه سوف يقدِّم عددًا من الجنود لمؤازرة "سايكا" وأهل سايس، ودفاعًا عن التاسوع الجبتي المقدس.

غادر المنفيون ميدوم، ومعهم سفينة عليها ممثلون لميدوم واللاهون، ووصل الجميع إلى الأشمونين، ثم تركوها إلى مير وقوص، ثم إلى "شاس حُتِب"، ثم إلى بطلمية، ثم إلى طينة... ولمّا وصلوا إلى طيبة، كانوا على هيئة أسطول من السفن به عدد كبير من الزعماء والكهنة وقوّاد المائة والجنود... اجتمعوا في

الساحة الخارجية للمعبد المقدس في طيبة، وكان الجميع سعداء؛ فقد اكتشفوا أنهم أقارب باللسان، مثلما أنهم أقارب بالقلب والتاسوع المقدس، فإن لسان "جبتو مصرايم" ابن الآلهة، لا يزال ساريًا، حتى في الجنوب، إذ ليس من الصعب أن يحادث رجل من منف رجلاً من طينة أو طيبة؛ بالرغم من اختلاف اللهجات.

جُهِّزت سفن من طيبة، وحُمِّلت بالخبز والحبوب والجعة؛ لتكون مع المسافرين جنوبًا... واستمرت البعثة في صعودها في النيل، مارة بأرمنتو ثم أدفو ثم كوم امبو ثم الفونتين فأسوان... وحين وصلت قرب الشلال الأول بدأ الفيضان وزادت المياه... فنزل الجميع عند الشلال الأول، وتركوا جنودًا عند السفن، وحدث اشتباك مع قبائل النوبة، الذين يختلفون بالقلب واللسان عن الجبتيين... واستطاع جنود بعثة "القلب واللسان الواحد" أن يغيروا على قبائل "النـحْسو" في أرض النوبة، أرض الذهب، وأن يجمعوا الكثير من ذهبهم وأبقارهم ومواشيهم وعددٍ من إناثهم وذكورهم...

ثم انحدرت البعثة بأحمالها وأثقالها من الجنوب إلى الشمال مستغلةً مياه الفيضان السريعة، التي جعلت البعثة البحرية تسبق بعثة الطريق البري التي تسير بالأبقار والمواشي والحمير.. ولهذا كانت البعثة البحرية تتريَّث عند كل مدينة، حتى تلحق بها البعثة البرِّية، ثم يتركون هدايا للمدينة التي وقفوا عندها، حتى وصلوا أخيرًا إلى منف، في يوم النقطة، نقطة الخميرة؛ أي اليوم الحادي عشر من بؤونة (١٩).

طبول ودفوف وأعلام ملونة، ونيران موقدة، وأعداد كبيرة من المنفيين خرجت لاستقبال بعثة الإله "بتاح" التي يقودها "دان" ومعه المبجّل "ساكبو" و"مِرِن" والجنود والصيادون.. وكان على رأس المستقبلين "أوزير" ابن دان وابن الآلهة... في نفس الوقت وصلت الحملة البرية بما معها من المغانم. ولفت نظر المنفيين الوجوه الصغيرة السمراء للأسرى النوبيين ذكورًا وإناثًا.

أصرّ "ميدوم" على أن يكون "أوزير" في طليعة المستقبلين للبعثة، وفي طليعة المستقبلين لدان والد أوزير بالعماد؛ وذلك حتى يظهر "أوزير" في صورة النائب عن والده "دان"... وتحدّث "بيبي" زوج "كونا" عمة أوزير، أمام الجميع، عن إنجازات أوزير وتوفيق الآلهة له، ورعايته لمنف في غيبة زعيمها، وأنه نظّم عملية طلاء البيوت والمعبد بطمي الفيضان، كما نظّم الصيد وجمع الثمار، وشيّد

مع عمّاله المدرّبين عددًا إضافيًا من السفن الكبيرة باستخدام خشب السنط والكافور. كذلك طوّر مسبك النحاس وأضاف القصدير إلى النحاس؛ فصنع أسلحة وأدوات أكثر صلابة... وأمّن الحضور من أهل منف على حسن رعاية أوزير للجميع، وعلى أن "بتاح" وبقية التاسوع يباركون أوزير ويلهمون قلبه ولسانه ويده.

الإصحاح الخامس

تفرّس "دان" في وجوه المستقبلين عند مرفأ عين شمس، عسى أن يرى ابنه ست مع الواقفين. ولمّا لم يجده مع المستقبلين شعر بالاستياء والضيق، وزاد ضيقه واستياؤه من ست لمّا علم أنه تحرّش بأخيه أوزير عدّة مرات، كما زاد تعلّقه وحبه لأوزير؛ لأنه كتم مضايقات ست ولم يصرّح بها... وتعجّب دان من علاقة جديدة مشبوهة بين ابنه ست والمبجّل "دِبْحن" كاهن عين شمس، خصوصًا وأن "جبجا" شرير عين شمس. قِيل إنه صار من أصدقاء ست.. و"جبجا" مشهور بتربُّصه للنساء اللاتي يخرجن للصيد والتقاط الثمار فُرَادى واعتدائه عليهن، بل لا يزال دان يذكر واقعة اعتداء "جبجا" على واحدة من نساء منف ضلّت الطريق إلى الشمال قرب عين شمس، حيث اضطر دان لخداع جبجا، فأرسل واحدة أخرى إلى نفس المكان في اليوم التالي. ولمّا همّ "جبجا" بالاعتداء عليها، خرج إليه كمين المنفيين وأوسعوه ضربًا وسَمَلوا إحدى عينيه [٢٠].

في اليوم الثاني من عودة البعثة، دقت طبول المعبد قبل الغروب، واجتمع أهل منف، بحضور "دان" و"ساكبو" و"مِرن" و"أوزير" و"ست" والجميع... عرض دان الأسرى من إناث النوبة على الجميع... رفض الفتى أوزير أن يأخذ لنفسه إحدى الإناث؛ إذ كان متعلقًا بأخته في العماد إيزي بنت دان، وكان قد أضمر في نفسه الزواج منها... وفضّل أوزير أن يضمّ إليه مجموعة كبيرة من فتيان وصبية النوبة؛ بهدف أن يكونوا جنوده، كما أنه استهدف أن يدرِّبهم على صناعاته واكتشافاته.

أمّا ست، فإنه اختار أجمل بنات النوبة الأسرى لتكون جارية له [٢١].

في العام الخامس من انتقال أوزير لمنف، الخامس والعشرين من تأسيس عين شمس، أُحْتُفِل بيوم النقطة في موعده المقرّر الحادي عشر من بؤونة (وأثْبِت - أنا مانيتون- متنًا قديمًا يقول: ... وأُحْتُفِل في اليوم التاسع عشر ببلوغ "حابي" قمة جهده بشادوفه المقدّس الذي ينقل به المياه من جنة الآلهة في السماء إلى جنة المصريين على الأرض [٢٢] فيفيض النيل؛ وأُعِدّت العروس المنحوتة من خشب الجميز المقدّس، وزُيِّنَت بالنحاس والذهب والفضة، وامتلأ نيل منف بالأرماث والطوّافات... وتقدّمت طوّافة الكهنة المبجّلين تحمل العروس ومعها إيزي البِكر؛ حيث إن الطقوس تقضي بأن التي تَدْفَع العروس للنيل، يجب أن تكون بكرًا لم

تعرف الرجال بعد... وألقت إيزي بالعروس إلى النيل... وضجّت الطبول والدفوف وسط هتاف الجميع...).

في اليوم العشرين من أبيب تمّ الزواج المقدس بين أوزير وأخته في العماد إيزي. وانتقلت القداسة من أوزير ابن الآلهة إلى إيزي أخت أوزير وزوجته (... وفي ليلة ذلك الزواج المقدس، ملأت الآلهة سماء الأرضين بالنجوم. كذلك رأى الناس الآلهة المقدّسين رع وبتاح وأتوم ونوت وتحوت، وبقية التاسوع. وهم يهبطون من السماء بأجنحتهم المصوغة من الذهب والزمرد والياقوت، لكي يباركوا زواج أوزير ابن الآلهة من إيزي...).

جُهِّزَت بعثة صداقة منفية للاتجاه للأقاليم الشمالية، أقاليم أرض النحلة... تحرّكت البعثة مستغلّة مياه أواخر الفيضان في أوائل مسرى. بقيادة "دان" ومعه مِرِن وميدوم... كذلك كان معه أوزير وعروسه إيزي... وكان أوزير قد صمّم سفينة ضخمة من خشب السنط ذات دورين، بناها هو ومعاونوه من الجنود الجبتيين والنوبيين، وجعل لنفسه ولإيزي مقصورة خاصة في مقدّمة السفينة، وجعل على مؤخّرة السفينة شعار النحلة، وعلى مقدّمتها شارات رع وأتوم وبتاح وأبيس.

لم تقف البعثة عند عين شمس، وتجاوزتها إلى "أتريب"... وردّت الزعيمة هاجال على هدايا منف؛ فقدمت للبعثة مائة جرة من جرار الجعة، وعدة آلاف من خبز "البتّاو" المجفف وعددٍ من الحملان والخنازير. ثم زارت البعثة "بوبا سطا"، وبعدها زارت "سايس" ثم "تانيس" ومنها إلى "منديس" حيث احتفل أهلها ببعثة منف، وأُجرِيت طقوس احتفالية خاصة في معبد "منديس" ابتهاجًا بأن وطئت أقدام أوزير، الذي هو من نسل الآلهة، أرض منديس... وأقام كهنة منديس في المساء حفل إكليل خاص بزواج أوزير من إيزي؛ وذلك ليحظى معبدهم بشرف إجراء هذا الإكليل المقدّس، بالرغم من علمهم أن معبد منف قد سبق وأجرى طقوس الإكليل لزواج إيزي من أوزير ابن الآلهة... واشترك أهل منديس في طقوس هذا الإكليل المقدّس، وامتلأت شواطئ منديس بالناس والأعلام والطبول والموسيقا
(٢٣)

في هذا الاحتفال التكريمي لأوزير وإيزي وبعثة منف، التقى أوزير بعدد من كبار تجارة ببلوس وفينيقيا من عبدة عشتاروت وأدونيس، وعلم أوزير أن هؤلاء

البحارة تعوَّدوا التجارة مع منديس وتانيس ومدن مصرية أخرى. يقايضون بزيت الزيتون وأخشاب الأرز والسيوف والأدوات النحاسية. الكتّان المصري والقمح والشعير وبضائع أخرى... وذهب أوزير ودان وبعض الجنود والصيادين المنفيين إلى مرفأ منديس. ورأوا سفن الفينيقيين الضخمة... وأُعجب الجميع بالسفن الفينيقية. وأصرَّ أوزير وأتباعه من البحارة المصريين والنوبيين على تفقُّد إحدى السفن. بهدف التعرُّف على تصميمها وكيفية بنائها... وتابع البحارة المصريون والفينيقيون أوزير وهو يثبت على أوراق البردي بالإشارات التي تعلَّمها من الإله بتاح والإله تحوت تخطيط السفينة وأبعادها وعدد أشرعتها. وعدد مقاعد المجدِّفين. وتفاصيل أخرى كثيرة.

أُعجب كبير تجارة ببلوس بورق البردي وطريقة الكتابة عليه بالريشة المشذَّبة والأَحبار. وعرض على أوزير طريقتهم في تدوين البيانات والأعداد على ألواح خشبية باستخدام مسمار من النحاس. وظهر للجميع أن أوراق البردي والأحبار أسرع وأسهل في الاستخدام. حيث تتيح هذه الأوراق المقدَّسة. التي وفّقت الآلهة أوزير إلى اكتشافها. إثبات بيانات كثيرة في حيّز محدود من الورق...

عرض الببلوسيون على أوزير مقايضة سفينة ببلوسية كبيرة مصنوعة من خشب الأرز بعدد من أدراج البردي وعدّة أوعية من الأحبار الحمراء والسوداء وكمية من عروق الذهب والإلكتروم [٢٤] وقبِل أوزير عَرض الببلوسيين.. وعَرَض الببلوسيون على أوزير ابن الآلهة أن يزور ببلوس. هو وزوجته المقدَّسة إيزي؛ ليكونا أول اثنين من أرض الآلهة تطأ أقدامهما أرض ببلوس وفينيقيا.

حينما عرض أوزير على الزعيم "دان" رغبته في المقايضة على السفينة الببلوسية. وافق "دان" على الفور... وحين أعلن أوزير قراره بزيارة ببلوس وساحل فينيقيا. تردّد "دان" وأبدى مخاوفه من الرحلة إلى تلك الأرض المجهولة التي تخضع لآلهة أخرى غير الآلهة المصرية... لكن دان، في النهاية، وأمام إصرار أوزير، ولعلمه بذكاء أوزير وأن الآلهة معه، وافق على الرحلة.

ترك أوزير سفينته المصنوعة من خشب السنط والكافور والبطم للزعيم "دان" -والذي هو في الوقت نفسه والده بالعماد- ووالد زوجته المقدّسة إيزي... ونقل إلى السفينة الببلوسية عدّة آلاف من خبز "البِتّاو" المختمر بخميرة نقطة بتاح. وعدة مئات من جرار الجعة المختمرة بخميرة بتاح. وكمية من السمك المملح

موضوعة في أكياس من جلد البقر. وعدة عنزات وتيوس وخنازير... وكان مع أوزير عروسه المقدّسة إيزي في المقصورة الخاصة. وعدد من بحارة منف. وبعض بحارة النوبة الذين ارتبطوا بأوزير ابن الآلهة الذي يحسن معاملتهم. كذلك رافقهم اثنان من أهل منديس ينطقون باللسانين المصري والفينيقي. واثنان من أهل ببلوس كرائدين ومرشدين.

عبرت سفينة أوزير، وخلفها ثلاثة السفن الببلوسية منطقة بحيرة البجع[٢٥]. وأثناء العبور. جمعت السفن أعدادًا كبيرة من الطيور. وُضِعت في أقفاص. كما جمعت كمية كبيرة من بيض الطيور... وكان أوزير وإيزي يبتسمان حينما يلاحظان على وجوه الفينيقيين الدهشة. حينما يرون أفراس النهر بحجمها الكبير. والتماسيح وهي مستلقية تستدفئ على رمال الجزر.

قالت إيزي لأوزير: "إن الببلوسيين تعجّبوا وأنا أجمع البيض من أقفاص الإوز والبط... إنهم في بلادهم لا يعرفون تربية الطيور من أجل الحصول على بيضها... إن آلهتنا أفضل من آلهتهم... لأن آلهتنا قد علّمتنا الكثير".

هوامش سِفْر "المتحدون بالقلب واللسان"

١- "الكا" هي الأخت أو القرين أو رمز الصورة الحية عند المصريين، ويُفترض أنها تحوم حول جسد الميت، أمَّا "البا" فهي الروح المفارقة التي تعود إلى الكا والجسد في يوم الحساب.

٢- كهنة الأرضين: أرض الشمال والجنوب.. وحدة الآلهة ووحدة المجامع المقدَّسة من عوامل الوحدة السياسية والثقافية لمصر القديمة.

٣- "الماعت" كلمة مصرية تعني الحق والعدل والخير.

٤- يوم النقطة -١١ من شهر بؤونة... الإله بتاح محبٌّ للجعة، ولا جعة إلا بالخميرة، كما أنه لا خبز إلا بالخميرة؛ لهذا وضع الإله بتاح نقطة الخميرة في شادوف حابي لتصل إلى كل مياه النيل ليلة الحادي عشر من بؤونة، ولا يزال أهل الريف في مصر إلى اليوم يجدِّدون خميرتهم كل عام يوم ١١ بؤونة دون استخدام خميرة قديمة؛ اعتمادًا على نقطة بتاح.

٥- "الاجتماع لحظة الاستغاثة عند المعبد": الوثائق المصرية تثبت ألوانًا قديمة للخدمة العامة والتجنيد الإجباري للحرب أو مواجهة الفيضان... وهي أمور ترتبط بقدم الدولة والنظام الإداري المصري.

٦- إشارات بتاح: يُقْصَد منها "الكتابة"، ولم يصل المصري القديم لشيء إلا اعتمادًا على الآلهة.

٧- "الأستراكا" قطع من الخزف كانوا يسجِّلون عليها بالإشارات، قبل أن يعرفوا أوراق البردي والأحبار.

٨- حَكا عِزْ: هي بالمصرية إيون الشمالية أي عين شمس أو هليوبوليس باليونانية.

٩- أرض النحلة: أرض الشمال، ثم أرض البوصة فأرض الثعبان، وأرض النسر، هذا هو التقسيم الإداري لمصر في عصر ما قبل التاريخ من الشمال إلى الجنوب (سليم حسن ــ مصر القديمة).

١٠- تجفيف المستنقعات للزراعة؛ ذلك لأن المستنقعات أراضٍ منخفضة تصلها المياه بسهولة.

١١- "فتاة تعرف رجلها فقط" أي فتاة شريفة، "فتاة تعرف كل الرجال" يقصدون بائعات الهوى، وهو أمر مستهجن منذ القديم.

١٢- المهرطق: الذي يقول كلامًا لا يتفق مع ظاهر الدين والاعتقاد العام.

١٣- سايس: عاصمة مقاطعات الدلتا، جهة الشرق (صا الحجر الحالية؟!) أرض النحلة أرض الدلتا الخصبة المليئة بالماني (أي عسل النحل) والكاني أي الزبد أو اللبن، ونعتقد أن وصف الكتاب المقدّس لفلسطين بأنها أرض "تفيض لبنًا وعسلاً" مأخوذ عن الأدبيّات المصريّة القديمة.

١٤- نير: ما يُوضَع على رقبة الثور أو الثورين لجرّ المحراث، وهو "ناف" في المصرية القديمة، ولا يزال "الناف" مستخدمًا بلفظه المصري إلى اليوم.

١٥- أرورا = إسْتات: وحدة مساحة مصرية قديمة (٣/٢ من الفدان) ويعتقد أستاذنا لويس عوض أن "الاستاد" كوحدة مساحة إغريقية منقول عن المصرية.

١٦- إشارة للقصدير والتحوُّل من النحاس (وهو طريّ نوعًا ما) إلى البرونز وهو أكثر قوة من النحاس.

١٧- "إحصاء عام" (راجع سليم حسن – مصر القديمة) يبدو أن حاجتهم للأعداد من أجل الخدمة العامة (الجيش –تجفيف المستنقعات – التصدي للفيضانات العالية) فرضت عليهم هذا السبق القديم للإحصاء العام.

١٨- "قلبك مفكرًا" القلب هو أداة التفكير في لغتهم.

١٩- يوم النقطة: ١١ من بؤونة.

٢٠- "سملوا إحدى عينيه" أمر غير مقبول منا نحن أبناء اليوم.. لكن العالم القديم كان يتعامل بقطع الألسن والآذان والأنوف والأيدي وسمل العيون؛ فالعقوبات البدنية وبتر الأعضاء، كانت أمورًا عادية في القديم.

٢١- "جارية له" الانتقال من عصر المشاع والالتقاط، إلى عصر الإقطاع والتسخير في الزراعة ارتبط به نظام الرق والاستحواذ على جهد الآخرين، والغريب أن جميع الأديان اعترفت بالرق كنظام اقتصادي.

٢٢- يقصد "وفاء النيل" حين يصل "حابي" إلى قمة نزحه بالشادوف السماوي.

٢٣- الإكليل وإعلان الزواج المقدّس في المعبد، مسألة مصرية قديمة.

٢٤- الإلكتروم سبيكة من الذهب والفضة، كانت عروقها توجد في صخور سيناء والصحراء الشرقية المصرية.

٢٥- بحيرة البجع... وأحيانًا بحيرة الإوز والبجع، يُقْصَد بها بحيرة المنزلة الحالية، ويبدو أنها في القديم كانت ملاذًا لأعداد لا حصر لها من الطيور المائية.

سِفْرُ رُسُل من أرض الآلهة

الإصحاح الأول

نزل أوزير وجميع الرجال من السفن الأربع، على آخر جزيرة مصرية من جُزر بحيرة البجع [1] ونزلت إيزي، مصحوبةً بعدد من البحارة النوبيين، ولمَّا كان رع في طريقه إلى الغرب، لوّنت أشعته الذهبية ثوب إيزي المصنوع من كتان تانيس الرقيق. فلمَّا وطئت أقدامها رمال الشاطئ، انحنى لها الجبتيون والنوبيون؛ إذ رأوها تمثيلاً حيًّا للإلهات المصريات: "نُوت" و"حتحور" و"قمة الغرب". وركع لها الببلوسيون والفينيقيون معتقدين أنها صورة من ربتهم "عشتار".. وحوّم في سماء الجزيرة تاسوع الآلهة المصريين في صورة نسور نشرت أجنحتها الذهبية لوداع أوزير وإيزي.

أشعِلت النيران على الجزيرة، وبدأ بعض الجنود يعدون لوجبة المساء، في حين انشغل بعض الجنود النوبيين في إعداد خص من البوص لأوزير وإيزي؛ الذين قطعا الجزيرة الصغيرة سيرًا على الأقدام، واكتشفا أن الشاطئ الجنوبي من الجزيرة يُطل على مياه النيل الحمراء، في حين أن الشاطئ الشمالي يطل على المياه الزرقاء الصافية للبحر الأخضر [2].

بعد العشاء تحلّق الجميع حول النار، وقصّ عليهم أوزير قصصًا كثيرة عن جده جبتو، وجده البعيد جبتو مصرايم الذي هو في الحقيقة ابن من أبناء الآلهة. كما قصّ عليهم ما سمعه من جده جبتو عن المسوخ والتنانين وشياطين الظلام، وكيف استطاعت السلالة الجبتية أن تقضي على هذه المسوخ بمعونة الآلهة، التي أرادت للمصريين أن يكون لهم النيل ووادي النيل.

ومع الصباح، بدأت الرحلة إلى ببلوس في البحر الأخضر، بحذاء الشواطئ المصرية، وشواطئ أرض النحلة [3]... وكانت السفن الأربع تبحر باستخدام الأشرعة، وعيون البحارة تتابع الشواطئ المصرية... كانت الرحلة في أوائل أيام النسيء [4]، حيث كانت طيور السماني المهاجرة إلى أرض النحلة ترتطم أحيانًا بالأشرعة؛ فيمسك بها الجنود، ويضعونها في أقفاص خاصة.

ومثلما كان البلوسيون يندهشون حين يرون أفراس النهر والتماسيح في مياه النيل وجزره، كذلك كان الجبتيون يندهشون لرؤية الدرافيل تسبح حول

السفن الأربع، تقفز وتلعب، وتبدو وكأنها تضحك، وترحّب بالسفن التي تُقِلّ مع البشر اثنين من أبناء الآلهة.

مرّ يوم، وانتهت الألسنة المختلطة من مياه النيل الحمراء ومياه البحر الأخضر، وصار الماء أزرق صافيًا.. ولا تزال السفن الأربع تسير في خط موازٍ للشاطئ...

وفي الليلة الثالثة، تشكّك البحارة الفينيقيون في موقعهم، فاستشاروا "أوزير" ابن الآلهة، فنصحهم بإلقاء المراسي وانتظار الشروق... وفي الصباح أشرق رع من يمينهم؛ فعرفوا أنهم في الطريق الصحيح، وأنهم الآن على بُعْد يومين أو ثلاثة من ببلوس... ورأى أوزير أعالي أشجار النخيل تبدو من خلف تلال الشاطئ الصخرية؛ فأمرهم أوزير بالاتجاه إلى الشاطئ.

رست السفن الأربع في منطقة عميقة بجوار الصخور، وتراصّتْ السفن الأربع بحيث تكون أخفها أقرب إلى الشاطئ، وسفينة أوزير، وهي أثقل السفن، كانت في اتجاه البحر، وبدأ الجميع في النزول إلى البر، بينما كان أوزير مشغولاً بمراقبة أعداد من النسور المجنّحة تحوم في سماء المنطقة، وحصر أوزير النسور، فاكتشف أنها تسعة؛ فأيقن أوزير أن رع وبتاح وأتوم وبقية التاسوع المصري يتابعون رحلته ويشملونه برعايتهم المقدّسة... وهمس أوزير لإيزي بذلك، فنظرت إلى السماء فتأكّد لها ما قاله أوزير، وهمست إيزي لأتباع أوزير من البحارة النوبيين؛ فرأوا التاسوع المقدّس رأي العين...

نزل الجميع إلى ذلك الشاطئ الصخري، فوجدوا خلف الصخور جنة خضراء خالية من البشر: أشجار النخيل محمّلة بالبلح والرّطب بألوان مختلفة، وأشجار التين والرمان تلمع ثمارها في شمس الصباح، وتضيء عناقيد العنب من غصونٍ متدلية بين الأشجار... كذلك رأوا أشجارًا أخرى كثيرة يعرفون بعضها، ويجهلون بعضها الآخر، وكذلك كانت أرض المنطقة مفروشة بخضرة يانعة مليئة بثمار البطيخ والشمام والفاقوس... وكان الماء البارد يتدفّق من عين صخرية، فيسيل في نهير صغير، ثم يتفرّع إلى قنوات صغيرة تلمع مياهها في جنبات تلك الجنة.

وتوغَّل جنود أوزير النوبيون فاصطادوا عددًا من الظباء والتيوس والخنازير... وأُشْعِلَت النيران وأُقِيْمَت وليمة كبيرة... ولم ينس أوزير حق الآلهة المصريين، وحتى آلهة ببلوس وفينيقيا، وقدَّم الرءوس والأرجل محرَّقات من أجل رع وبتاح وأتوم وبقية تاسوع آلهة مصر، ومن أجل "عشتار" و"ديموزي" و"مردوك" وبقية آلهة مرتفعات ببلوس وفينيقيا.

سأل أوزير أحد الروّاد الببلوسيين: "كيف حال الأمن على الشواطئ وفي البحر؟" فأجاب الرائد: "لا مخاطر على الشواطئ... في بعض الأحيان، نلمح بدوًا يركبون حمار الجبل [٥] ينتظرون رحيلنا إلى السفن، فيتقدّمون ليأخذوا البقايا التي نتركها حول النيران... وهناك خطر يسير في البحر، ففي بعض الأحيان يحاول قراصنة يركبون زوارق خفيفة مهاجمتنا... لكن سرعة سفننا وارتفاع حوافها لا تمكّنهم منا؛ والأمر لا يخلو -في بعض الأحيان- من مناوشات بيننا وبينهم."

أمر أوزير بقضاء بقية النهار والليل في هذه الجنة، وكلّف الجميع بجمع ما يمكن جمعه من ليف النخيل والحشائش والنباتات الجافة... وفي المساء، وقريبًا من النار، اشترك الجميع، بأمرٍ من أوزير، في تحويل الليف والحشائش والنباتات الجافة إلى كُوَر، ووُضِعَت هذه الكور الجافة على جوانب السفن الأربع.

في صبيحة اليوم التالي، حملت كل سفينة نصيبها من الفرائس المشوية، ومن الرّطب والعنب والتين والرمان... ورحلت السفن... وكان البدو يقفون على مرمى البصر، وبمجرد تحرُّك السفن، نزل البدو يفتشون المكان... وكان أوزير قد أمر بترك بعض الفرائس المشوية، وعدة مئات من أرغفة البتّاو، وعددٍ من جرار الجعة... ورأى أوزير ومَنْ معه البدو يلوّحون لهم من بعيد.

كانت السفن الأربع على مسيرة يوم من ببلوس، وبعد أن ودّع أوزير رع بقدّاس المساء، أُشْعِلت فتائل قناديل الزيت المثبتة على مقدّمات السفن ومؤخّراتها، وردّد المصريون ترنيمة "نوت" للنار المقدّسة، وردّد الفينيقيون ترنيمة لعشتار وديموزي ومردوك... وما إن تكاثف الظلام حتى فوجيء أوزير ورجال السفن الأربع، بعدد كبير من زوارق القراصنة، يظهر فجأةً وكأن البحر قد انشق عنهم... وعلى الفور أمر أوزير بأن تتجه السفن الأربع غربًا إلى المياه العميقة... وأثناء ذلك أُعِدّت كور الليف والأعشاب ونُدّيت بقليل من زيت السراج... أُنْزِلت أشرعة السفن الأربع فتوقّفت وصارت في وضع القتال، وتقدّم القراصنة بزوارقهم

محاولين الوصول إلى السفينتين الأماميتين، وبمجرّد أن أصبحت الزوارق على مرمى حجر من السفينتين، انهالت كور النار على الزوارق؛ فاشتعلت بعض الزوارق، ولاذت بقية الزوارق بالفرار.

بعد أن فرّ القراصنة، تلاصقت السفن الأربع، احتفالاً بقهر القراصنة واستعدادًا لعشاء جماعي... وتصادف أن وقف أوزير وإيزي قريبين من نار قنديل الدفّة، ولمع وجه أوزير وإيزي، وبدا أن وجهيهما كوجوه الآلهة... ساعتئذٍ انحنى المصريون تحية لأوزير الذي يثبت "بفكر قلبه، وصنع يده، وحكمة لسانه" أنه ابن من أبناء آلهة مصر، وانحنى الببلوسيون الفينيقيون لأوزير "الذي يثبت كل يوم أنه ابن عشتار ومردوك" (٦). وكذلك انحنوا للزوجة المقدّسة إيزي... إذ لا يقترن أبناء الآلهة إلا ببنات الآلهة.

واصلت السفن الأربع الرحلة، ملتزمة خطًا موازيًا للشاطئ، وفي الليلة الأخيرة اقتربوا من ببلوس... وجاء زورقان، وتحادث الجنود فيهما مع البحارة الببلوسيين، وما لبث الزورقان أن رحلا مع مشرق الشمس... وما إن اقتربت السفن الأربع من مرفأ ببلوس حتى جاءت عدّة سفن وزوارق عليها أعلام ملوّنة، وتقدّم حاكم ببلوس لاستقبال أول رحلة مصرية، يقودها "أوزير" ابن الآلهة المصرية والذي لا يتكبّر عن أن يكون ابنًا لعشتار ومردوك".

الإصحاح الثاني

أُعجبت إيزي بقصر الأميرة الجميلة "تازي" زوجة "هاداد" أمير ببلوس، وعرفت الربّة إيزي -كما كان الببلوسيون ينادونها -أن النساء يسمين القصر بقصر "عشتار"، بينما الرجال يسمُّونه بقصر "مردوك"، و"مردوك" هو أحد آلهة المرتفعات...

أمرت إيزي عبيدها النوبيين فجاءوها بالصناديق التي أُهدِيَت لها من أتريب وتانيس وسايس وبقية مدن أرض النحلة... فتحت إيزي الصناديق، وأهدت "تازي" عدة أثواب رقيقة من الكتان، كما أهدتها عددًا كبيرًا من الأواني الفخاريّة من مختلف الأنواع والأحجام، كذلك أهدتها كمية من القلائد والأقراط والأساور الذهبية والفضية، والكثير من الجعارين والتمائم الحارسة.

أُعجِب أوزير بقصر "مردوك" المبني بالحجر، ورافقه الأمير "هاداد" وهو يتفحص جوانب القصر المختلفة، مبديًا إعجابه بعمارة القصر وأثاثه المصنوع من أخشاب الأرز، وأُقِيمَت ولائم عظيمة للقادمين من أرض الآلهة (٧) وتذوّق الضيوف النبيذ الببلوسي وأبدوا إعجابهم به... وكان أوزير يتفحّص وجوه الحاضرين في الولائم، وعرف من المترجمين أن بعض الحاضرين من أرض بابل، وبعضهم من جزر البحر الأخضر، وبعضهم من الحيثيين والكريتيين وغيرهم، كذلك كان أوزير يتفحّص الرجال والنساء وملابسهم المختلفة.

بعد وليمة، من تلك الولائم، قدّم الأمير "هاداد" أوزير للجميع باعتباره "أحد أبناء آلهة مصر"؛ فانحنى لأوزير جميع الحضور، وبخاصة كهنة المرتفعات وكهنة صور وببلوس الذين يقدّسون الإلهين المصريين "رع" و"أتوم" مع آلهتهم المحلية... وقال "هاداد": "إن ضيفنا المقدّس أتاحت له الآلهة اكتشاف أشياء كثيرة مفيدة سوف يُطْلِعكم الآن على بعضٍ منها". ووقف أوزير وعرض عليهم لفائف البردي، وأعجب الجميع بهذه اللفائف والأدراج، وعرضوا على أوزير أن يشتروا كميات كبيرة منها للكتابة عليها في المعابد والإدارات الحكومية... واتفقوا على أن تصل لفائف البردي إلى ببلوس (٨)، ثم يشترونها من الببلوسيين.

ثم وقف كاهن ببلوس يعلن على الحضور: ".. إن المقدّس أوزير، سوف يبيِّن لكم كيفية الكتابة على لفائف البردي، وفي الوقت نفسه سوف يبيِّن لنا طريقة المصريين في الكتابة الهجائية وكتابة الأرقام".

وقف أوزير أمام الجميع، وقد ثبَّت على الحائط ورقة كبيرة من أوراق البردي ومعه وعاءان صغيران، أحدهما فيه مداد أسود وريشة مشذَّبة، والآخر فيه مداد أحمر وريشة أخرى، ثم رسم تخطيطًا بيضاويًا لوجه ثور ذي قرنين وقال: "هذا هو الرمز الأول في كلامنا وكتابتنا وهو الرمز "أ" ونسميه "ألفا"، والألفا عندنا هو ثور القطيع، وهو الأول من كل شيء" ثم رسم خُصا أو بيتًا مبسطًا وقال: "الرمز الثاني من كتابتنا وفي كلامنا هو "با" ونسميه "بيتا"، "ثم رسم عنق ورأس جمل وقال: "الرمز الثالث من كتابتنا وفي كلامنا هو "جا" ونسميه "جيميل" ونرمز إليه برأس ورقبة الجمل..." واستمر أوزير يوضِّح للحضور كتابة الرموز المصرية (٩) وكتابة الأرقام... وكانت أغلب تعليقات الحضور: "حقًا إن المصريين قد سبقوا في كل شيء... حقًا إن أوزير ابن الآلهة، قد تعلَّم على أيدي الآلهة...".

أصرَّ الأمير "هاداد" والأميرة "تازي" على أن يُستَضاف أوزير وإيزي ومَنْ معهما، حتى يحضروا أعياد عشتار وديموزي أو تموز، في شهر نيسان الفينيقي؛ أي شهر برمودة المصري، ولمَّا حاول أوزير الاعتراض، قال له "هاداد" من خلال المترجمين: "تظل معنا لثلاثة أسباب: أوّلها انتظار الرياح المواتية، وثانيها لنتعلَّم منك ما تعلَّمت من الآلهة، وثالثها لكي تتعلَّم شيئًا من ببلوس والمدن الفينيقية، وحتى ترى أعياد عشتار وديموزي وأدونيس" وما كان لأوزير إلا أن يستجيب لكرم أمير ببلوس وزوجته الجميلة.

قدَّمت إيزي عيِّنات من بذور القمح والشعير والبصل والعدس والحمص والباميا والفاقوس والبطيخ والخس والثوم والكمون، للأميرة "تازي" لكي تُستَزْرَع في حدائق القصر... كذلك قدَّمت لها بذور بعض النباتات الطبية مشيرة لفائدة كلٍ منها وخصوصًا "الكراوية، واليانسون، والحلبة" وعلَّقت إيزي على نبات الحلبة قائلة لتازي: "إن الربَّة حتحور، معينة المرضعات والوالدات، أوصت فقالت: "إنني أنا حتحور التي طلبت من بتاح المسئول عن خلق النباتات الطبية، أن يبتكر نباتًا من أجل الوالدات والمرضعات؛ فكان نبات الحلبة الذي يقوّي الوالدات ويزيد من

حليبهن"[١٠] وعلّقت "تازي" فقالت: "إن الربّة حتحور عندكم، هي الربّة عشتار عندنا".

أعطت تازي لإيزي عدّة مرايات مصقولة مصنوعة من الفضة، واثنتين مصنوعتين من الذهب، كما أعطتها عدّة أثواب بابلية ملونة في ببلوس في مصابغ القصر الملكي[١١].

علّم أوزير الببلوسيين طرقًا جديدة في تلوين الفخار وطلائه بالمينا وبطبقات لامعة من مسحوق المايكا... كذلك علّمهم كيفية صناعة سلاح المحراث وتركيبه، وحرث الأرض باستخدام الثيران، كما علّمهم حفظ الأسماك بتمليحها، وعزل مساحات من مياه البحر للحصول على ملح الطعام.

قال أحد كهنة المرتفعات في ببلوس عن أوزير: "حقًا إنه ابن الآلهة". فردّ عليه كاهن من معبد عشتار: "لقد علّم البلوسيين الكثير، إنه بالفعل يستحق اسمه "كثير الحيل" ألم تر إلى محراثه وكيف ينجز حرث الأرض باستخدام الثيران؟ ألم يعلّمنا الكتابة بالحروف والأرقام على ورق البردي؟ ذلك الورق المقدّس الذي وهبت الآلهة أوزير طريقة صناعته؟!"[١٢].

في برمهات من التقويم المصري، توفّي "هيروم" والد الأميرة "تازي" وعم الأمير "هاداد". ولمّا سأل أوزير الكهنة عن مراسم الدفن، أجابوه من خلال المترجمين "علينا أن نحتفظ بالجثة سليمة وبعيدة عن تمزيق والتهام دببة الجبال... نضع الجثة في كهف نغلقه بكميات كبيرة من الصخور الضخمة: حتى لا يقوى الدب الجبلي على انتزاعها... وذلك أنه طالما أن الهيكل العظمي للجثة سليم، فإن روح الميت تظل تحوم بحرية وسعادة حول المستنقعات والخلجان والأنهار والقنوات...".

وردّ أوزير: "إن رع وتحوت وأتوم وبتاح وبقية تاسوع الآلهة، قد ضمنوا للميت الطيب حياة "رغدة" مع الآلهة في جناتهم، بشرط أن يظل الجسد كله سليمًا، وليس فقط هيكله العظمي، حيث تستطيع "الكا" وهي قرين الميت أو أخته في الصورة، أن تتعرّف على صورته المشابهة لها، فإذا تعرّفت عليه الكا، استطاعت "البا" أي الروح النورانية الإلهية أن تعود إليه: فيقوم من الأموات، ويصعد إلى جنات الآلهة فيكون كأحدهم... وحتى يظل الجسد كله سليمًا نقوم بتحنيطه".

طلبت "تازي" و"هاداد" من أوزير ابن الآلهة، أن يقوم بإجراءات تحنيط جسد "هيروم"... وصنع أوزير تابوتًا من خشب الأرز، وضع فيه الجسد بعد تحنيطه، ووضع مع الجسد تعاويذ الحفظ والإحياء وتماثيل صغيرة للجعارين والمردِّدين [١٣] ثم أدخل التابوت في كهف عميق، وسَدَّ المدخل بكميات كبيرة من الأحجار... وشعر أهل ببلوس، وخصوصًا الأمير "هاداد" والأميرة "تازي" بالأمن على المصير الأخروي لهيروم... وبدأت طقوس مصر وآلهتها تتسرَّب إلى ببلوس والساحل الفينيقي.

الإصحاح الثالث

في منف عانى دان كثيرًا من ابنه ست؛ فقد رفض أن يحلّ محلّ أوزير في متابعة أعمال ما بعد الفيضانات، من شق للترع، وتجفيف للمستنقعات، وحرث الأرض وبذر البذور وإعادة طلاء المعبد والبيوت بطمي الفيضان... كذلك فإنه أساء معاملة جاريته النوبية، حتى هربت إلى بيت والده، ثم حدث تحرّش بين ست وبعض الجنود النوبيين الذين توعّدوا ست.

ذات يوم، فوجيء دان بابنته الصغيرة "نفتي" وأمها "تونا" تبكيان... ولمّا استوضح دان الأمر، قالت تونا لنفتي: "قُصّي على أبيك ما حدث"؛ فقالت نفتي وهي تغالب عبراتها: "كنت مع بعض البنات نجمع بيض الطيور من الأحراش القريبة من النيل، فرآني أخي ست وهو على طوّافته في الماء، وطلب مني أن أركب معه لنصطاد الإوز والبط من أحراش الجزر، فركبْتُ معه... ولمّا ابتعدنا وصرنا بين الأحراش، أمسك بي، وألقاني على أرض الطوّافة، وتوسّلتُ إليه أن يتركني، ورجوته بحق الأخوة وبحق الماعت والآلهة، ثم عرضتُ عليه موافقتي أن أكلَّل زوجةً له في معبد حتحور؛ فرفض كل توسلاتي، ولم يأبه بدموعي وبكائي واغتصبني.."

رفع دان الأمر أمام المبجّلين في قاعة تحوت وحتحور؛ حتى تلزم المحكمة ست بأن يُكلِّل هو ونفتي المعتدى عليها بزواج مقدّس؛ وقبل صدور الحكم، هرب ست ولجأ إلى عصابات "الرمال الحمراء" في صحراء شرق النيل... وبدأ أهل منف وعين شمس يتحدّثون عن علاقة مشبوهة بين "ست" و"جبجا" والمبجّل "دِبحْنِ" في عين شمس.

في فجر أحد الأيام، نبحت الكلاب، ودقت طبول الجنود الصيادين في منف، واستيقظ دان، والمقدّس ساكبو كاهن منف، كما أسرع مرن قائد المائة بجنوده، وكذلك ميدوم بطوّافاته وأرماثه السريعة وبحارته... وتبيّن أن مجموعة من لصوص البدو، قَدِموا بأرماث وطوّافات عبر النيل، وأنهم حاولوا نهب حظيرة نذور المعبد... وبدأت المطاردة عبر النيل، وأسر المنفيون بعض الأرماث والطوّافات، وكُبِّل الأسرى بسلاسل النحاس ليصيروا عبيدًا لمعبد منف... وحزن دان كثيرًا؛ حيث تواترت شائعات بأن ابنه ست كان مع هؤلاء (الأشرار) بل كان قائدًا لهم... واستاء دان ذات يوم في المعبد، حين تحدّث أحد الكهنة المبجّلين عن نبي من الغابرين، وأنه

بالرغم مما كان مشهورًا عنه من الحكمة وحسن الخلق، إلا أنه أنجب ابنًا لم ترضَ عنه الآلهة؛ وأن الآلهة في النهاية حرّضت عليه الأفعى المقدّسة فلدغته فمات.

قال أحد التسعة المبجّلين في عين شمس، للمبجّل آسو: ".. لقد شممت رائحة السمك تفوح من فم المبجّل "دِبحِن" داخل معبد الآلهة[١٤]... إن مجمّع الآلهة التسعة لا يرضى عن ذلك"؛ فردّ "بيبي": "سمعتُ من خادمات حوض الطهارة المزدوج أن المبجّل "دِبحِن" لا يتطهّر بانتظام قبل دخول المعبد، أو دخول محكمة تحوت، وقال "باورعا" أحد المبجّلين: "إن جارية المعبد الحامل، تقول إنها حملت من المبجّل "دِبحِن"... كذلك فإن "وان" قائد المائة، و"نوتي" قائد الأرمات والطوّافات يقولان إن المبجّل "دِبحِن" على علاقة ببدو شرق النيل الأشرار، الذين يستضيفون ست، الذي يتحدث الجميع عن شروره.

أصر وان، بحضور نوتي وبيبي، أن يُجْرِي تحقيقات بنفسه مع جنود الحراسة المكلّفين بمراقبة المرفأ ومسطّحات النهر في عين شمس، والمكلّفين بحراسة الحظيرة العامة وحظيرة النذور... وتبيَّن للجميع، من خلال التحقيقات، أن تدبير المقدّس "دِبحِن" كان يقف وراء غيبة هؤلاء الجنود عن مواقعهم، الأمر الذي مكّن لصوص الصحراء الشرقية، أتباع ست، من سرقة بعض حيوانات الحظائر، وكميات من الحبوب من الشونة العامة... قال أحد الجنود الذين اشتركوا في مطاردة أرمات وطوّافات عصابة "الرمال الحمراء": "أعتقد أن ست بن دان كان يقود هؤلاء الأشرار، كما أظن أنني رأيت الشرير "جبجا" يسرع برمته مع هؤلاء الأشرار."

(أثبت -أنا مانيتون- حكمة قديمة تقول: إذا زادت شرور الإنسان فاشتهر بها زال عنه حياؤه، وزاد تبجُّحه).. خلع ست ثوب الحياء، وصار -بصلفه المعهود- يتردد نهارًا على المبجّل "دِبحِن" في عين شمس، بل كان لا يبالي بأحد، حتى أنه كان يزور بيت جبجا الشرير في وضح النهار... وكان ست يعود بطوّافته ومعاونيه شرقًا، وقد حمّله "دِبحِن" بأرغفة الخبز وجرار الجعة وبعض الحيوانات وكميات من الحبوب والفواكه والأسماك المملّحة...

قالت صبية صغيرة من المستحمات في بركة النساء في عين شمس: "هل صحيح أنهم حنطوا المقدّس "دِبحِن"، وصنعوا له تابوتًا ودفنوه في الجبانة الغربية، تمامًا مثل جبتو ابن الآلهة؟!" فردّت امرأة من المستحمّات: "نعم، لا بد من هذا، فهو رئيس مجمع التسعة، ورئيس محكمة تحوت، كما أنه كان طبيب عين

شمس وعرّافها." وردت فتاة ضاحكة: "لقد وجدوه مقتولاً بحجر، في نفس المكان الذي عثروا فيه على جثة المبجّل "موبي"... عجبًا لهؤلاء المبجّلين، إنهم يهوون تأمُّل أجساد النساء العاريات". وقالت امرأة متينة البنيان: ".. إن بعض الرجال يزعمون أن امرأة قوية قتلت "دِبْحِن" لاعتدائه على ابنتها... ورجال آخرون يقسمون إن الآلهة أخرجت "كونو" من الأموات فقتل "دِبْحِن"... وآخرون يؤكِّدون أن جبتو، الذي يقيم في السماء مع الآلهة، قد أرسل "آلهة الانتقام" فانتقمت من "دِبْحِن" الذي "فعل الشر مع الآلهة، ولم يحترم شريعة تحوت".

قضى "دان" و"ساكبو" و"مِرِن" وبقية وفد العزاء المنفي يومين في عين شمس بعد انتهاء مراسم جنازة "دِبْحِن".. وعلم وفد منف أن التحقيقات في مقتل "دِبْحِن" أثبتت أنه قُتِل في نفس المكان الذي سبق أن قُتِل فيه موبي؛ حيث كان يتلصص ليرى أجساد النساء العاريات... وبالرغم من وجود جثة "دِبْحِن" وتقديم الكهنة لثور ذُبِح، وأكل المبجّلين لطعام الشهادة، وضربهم الجثة ببقايا ذيل الثور، وعودة الكا والبا والحياة لـ"دِبْحِن" (١٥) إلا أن الكهنة قالوا إن "دِبْحِن" لم ينطق بشيء وعجز عن تحديد قاتله (وأثبت -أنا مانيتون- أمرين يتعلقان بمثل هذه الحالة: أحيانًا يخشى الكهنة بأس القاتل فينكرون شهادة القتيل... وأحيانًا أخرى لا يكون الكهنة مؤهّلين لاستخدام التعاويذ والسحر؛ وبالتالي يعجزون عن استدعاء الكا والبا، فلا يحصلون من القتيل على شهادة).

في اليوم الثالث من دفن "دِبْحِن" اجتمع كهنة معبدي منف وعين شمس برئاسة "باورعا" الذي صار كاهنًا أكبر لاتحاد المجمعين.. وحضر الاجتماع "دان" سيد منف، وصديقه "لابانو" سيد عين شمس، كما حضره قوّاد المائة وقوّاد الطوّافات والجنود الكبار من منف وعين شمس... وقرّر المجتمعون أن يكون لمنف وعين شمس مجمَّع مقدّس واحد برئاسة "ساكبو"، كما تكون قيادة الأرضين (١٦) لدان، على أن يكون "لابانو" نائبًا عنه في عين شمس، كذلك قرر المجتمعون أن يكون أوزير ابن الآلهة، والذي يحمل دمًا مقدسًا من جدّه جبتو مصرايم، وريثًا شرعيًا لدان، كما قرّر المجتمعون فتح الباب لاتحاد جميع قرى الأرضين، حتى يصبح (جميع المتشابهين في القلب واللسان كأنهم قبيلة واحدة) (١٧).

زادت شرور ست، وصار زعيمًا لسكان الرمال الحمراء (١٨) في شرق النيل، والذين تعدّدت إغاراتهم على أطراف المدينتين والقرى الصغيرة التي أنشأها بعض

الزُّراع والصيادين، ومنذ عدَّة أيام أغاروا على مستعمرة صغيرة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال وسلبوا الحيوانات والأقوات (أثبت -أنا مانيتون- جزءًا من بردية من برديات المراسلات بين منف وأهناسيا أثناء بدايات التوحيد الأول... تقول البردية: قد يجني الإنسان من بعض الضرر نفعًا، فهؤلاء الأشرار من سكان الرمال الحمراء، تسبَّبوا -بإغاراتهم- في توحيد معظم الأرضين، وبسريان روح الوحدة بين جميع المصريين، إن تانيس وسايس وبوتو وأتريب ومدن وقرى أرض النحلة، صار يسودها شعور بالوحدة والتناصر... إن مدن وقرى أرض البوصة والثعبان والنسر تحتاج منا مساعدات لردٍّ عادية عصابات الرمال الحمراء، وسوف نرسل جنودًا ورماة بالنبال لتقوية هذه المدن... وعلينا استضافة كهنة المدن الجنوبية من الشباب؛ ليتعلموا في عين شمس، وليدرسوا الأسرار المقدَّسة للتاسوع... وحين يعود أوزير فإنه سوف يعلِّمهم المزيد من الأسرار المقدَّسة التي ألهمته بها (الآلهة) كذلك فإنه سوف يعلِّمهم ما علَّمَه بتاح، من القدرة على إثبات أفكار قلبه، على ألواح البردي باستخدام الرموز المقدَّسة).

الإصحاح الرابع

طاف أوزير ابن الآلهة، ومعه الزوجة المقدَّسة إيزي، على معظم مدن وقرى الساحل الفينيقي، بل وطوّفا على الجزر التابعة لفينيقيا، يرافقهما الوفد المصري وبعض الجنود وكبار البحارة الببلوسيين.

زاروا "بيروتا" [١٩] ومعبدها الشهير للإله "إلْ" وزوجته الإلهة "إيلات". كذلك زاروا صور وصيدا والمدينة المثلثة [٢٠] إرْوَاد: فهناك إرْوَاد الجبل ذات الثمار الكثيرة، وإرْوَاد الشاطئ بجناتها المعروشة وصناعاتها وتجاراتها، وإرْوَاد الجزيرة بأسطولها التجاري وقراصنتها البحريين...

وفي معبد تموز في "إرْوَاد". أغمي على إيزي، حين رأت الكهنة يخنقون الأطفال حتى الموت، وحين أفاقت أغمي عليها مرة ثانية، حين رأت جثث الأطفال تُحـرّق على مذابح الآلهة، وبخاصة الإله العظيم مولوخ[٢١].

وحضر الجميع حفل الاعتدال الربيعي في منتصف نيسان في ببلوس، ووفدت جموع غفيرة من المدن الفينيقية والسواحل القريبة لحضور الاحتفالات والمهرجانات المقدَّسة... نظر أوزير والوفد المصري باندهاش، إلى الببلوسيين والفينيقيين وهم يؤذون أنفسهم كمظهر من مظاهر التقوى والخضوع لرغبات الآلهة... ففي معبد عشتار كانت العذارى يُقدمن شعورهن لتُحْرَقَ على الأنصاب... بل كانت بعض العذارى يضحين ببكارتهن [٢٢] للعبيد والأسرى من أجل عشتار. وفي معبد سيدة ببلوس الإلهة "إيلات"، والتي تُنَادى أحيانًا "عشيرة"، يوجد مكان للبغاء المقدّس؛ تضحية للإلهة الأم، وكذلك تتقبّل الإلهة غدائر البنات، كما تتقبّل خصيَ الذكور خصوصًا من الشباب والغلمان الطامعين في وظائف الكهنوت.

وفي نهاية الاحتفال عند معبد أدونيس، تقدّم الكاهن الأعظم إلى قبر رمزي لأدونيس، وأعلن عن قيام أدونيس من قبره، وأعلن كذلك عن "وعد الإله أدونيس" بأن الحضور جميعًا "سوف يقومون من الأموات، ليحيوا حياةً ثانية، مثلما حدث لأدونيس" وفي الختام بلّل الكهنة والشمامسة شِفاه وأفواه الحضور بخمور المعبد المعتّقة[٢٣].

أُعِدّت ثلاث سفن ببلوسية كبيرة، من ذوات الأشرعة السبعة، وكذلك أُعِدّت سفينة أوزير لرحلة العودة لأرض الآلهة [٢٤]. حُمِّلت السفن بالطعام والشراب وأهدى الأمير "هاداد" أوزير عددًا من الأسرى والعبيد الشباب، ليكونوا تحت إمرة أوزير. كذلك أُلحِقَتْ بالسفن طوّافة ضخمة عبارة عن كُتل متراصة من جذوع الأرز.

قال أوزير وهو يودّع "هاداد" و"تازي": "كيف نرد أثمان هذه السفن وهؤلاء العبيد وتلك الأخشاب والبضائع الكثيرة؟!" فرد هاداد: "يعود دخل التجارة كلها لي وللمعبد المقدّس والآلهة، وسوف يكون بيننا تبادل تجاري ضخم، ترسلون إلينا بضائعكم من أرض الآلهة، وسوف نرسل إليكم في مقابلها بضائع أخرى من ببلوس وبقية مدن فينيقيا، بل وبضائع بابل وسكان الجبال والبحار القريبة والبعيدة".

في بشنس من تقويمنا، وأيار بتقويم الحُمر، تم الوداع في مرفأ ببلوس، حيث خرج جمع كبير من الببلوسيين لتوديع أوزير ابن الآلهة، وزوجته المقدّسة إيزي، وبكت تازي وهي تودّع إيزي، واحتضن "هاداد" "أوزير" مودّعًا، وامتلأت أشرعة السفن بهواء "تشو"... ورحلت السفن إلى أرض الآلهة، متبعةً نفس الطريق الموازي للشواطئ الفينيقية، ثم الشواطئ المصرية.

في مساء اليوم الثالث، وبمجرّد أن أُشعلَت قناديل السفن، هاجمت زوارق القراصنة السفن الأربع، لكن ما إن بدأ جنود أوزير يطلقون الكرات المشتعلة حتى سارعت زوارق القراصنة بالفرار... وأحسّ أوزير أنه قريب من تلك المنطقة المليئة بالخيرات، والتي عسكروا فيها ليلةً في طريق الذهاب؛ لهذا أمر أوزير فأرست السفن في المياه العميقة حتى الصباح.

صَدَق حدس أوزير ابن الآلهة، فبمجرّد شروق الشمس، تبيَّن للجميع أنها نفس المنطقة ذات النخيل والأعناب والتين ونبع الماء الجاري، وعلى الفور تحرّكت السفن في اتجاه الشاطئ... ونزل الجميع على الشاطئ مع نسمات الصباح الرقيقة، وأكل الجميع من الرُّطب المتساقط تحت النخيل ومن شجيرات التين والعنب، ومن البطيخ والشمام، وطارد الجنود الصيادون والبحارة عددًا من الظباء والتيوس والبقر الوحشي، وأُشعِلَت النيران، وجلس الجميع لوجبة الظهيرة.

أثناء الطعام، فوجيء أوزير والجميع، بأحد البدو يتقدّم راكبًا "حمار الجبل" ويقوم بحركات غريبة، فسّرها أحد العبيد الببلوسيين بأن البدوي يريد عقد صفقة تجارية... ولمّا توقّف البدوي عن السير، أشار إليه أوزير بالأمان وبأن يتقدّم.. فهم أوزير من حركات البدوي، ومن تفسيرات العبد الببلوسي، أنه يريد المقايضة على عدد من "حمار الجبل" وزقاق الخمر، والتين المجفف، بكمية مناسبة من خبز "البتّاو" والجعة وزيت الزيتون والسمك المملح...[٢٦]

تمّت المقايضة، وحصل أوزير على عدد كافٍ من ذكور وإناث "حمار الجبل" وُضِعَت على طوّافة كُتَل خشب الأرز، كذلك حصل أوزير على عدد من زقاق الخمر وكمية من التين المجفف والتمر، وأخذ البدو ما أرادوا في مقابل ذلك، كما وُعِدُوا بأخذ ما يتبقى من طعام المعسكر بعد الرحيل...

اُضْطُرّت الحملة أن ترسو عند منطقة شرق الفرع البلوزيومي للنيل؛ حيث توجد منطقة بحيرات وجنّات خضراء... أنزلوا "حمير الجبل" بصعوبة حتى ترعى الأعشاب، ذلك لأن الأغصان المورقة التي وضعوها لها فوق طوّافة أخشاب الأرز لم تكن كافية... واستطاع الجنود والعبيد جمع كميات كبيرة من الأسماك والأرز والبجع وبعض الخنازير، وعددًا كبيرًا من الحمير البريّة.

بسبب عدم مواتاة الريح اُضْطُرّت هذه الرحلة البحرية أن تقضي فترة من الوقت شرق الفرع البلوزيومي من النيل... وكانت إيزي أكثر الجميع سعادة بالرحلة والرفقة الطيبة لأوزير... وحيث إن القطعان قد كثرت، فقد أمر أوزير بعض الجنود والعبيد أن يسيروا بها في الطريق البري، وأن يستعينوا بحكام المقاطعات في طريقهم في أرض النحلة... وبدأت مياه حابي الحمراء تصل إلى تلك المناطق، فسارت السفن الأربع وطوّافة خشب الأرز بالأشرعة في الفرع البلوزيومي... وكانت الحملة تتوقّف عند كل مدينة تمرّ بها؛ حتى يقابل أوزير حكام المقاطعات، ويعطيهم بعض الهدايا الببلوسية... وعلم أوزير من حكام مقاطعات أرض النحلة، أخبار منف وعين شمس، ورغبة الجميع في توحيد "جميع المتفقين بالقلب واللسان".

الإصحاح الخامس

أُستُقبِل أوزير وبحارته وجنوده وعبيده استقبالاً حافلاً في عين شمس، وبعد أن قدَّم الهدايا "للابانو" و"وان" والكهنة المبجَّلين، قام بتقديم القرابين لمعبد عين شمس...

رحلت سفن الحملة إلى منف، ووصلت في نفس الوقت الذي وصلت فيه الحملة البرية بما معها من قطعان المواشي والدواب... وخرج جميع المنفيين لاستقبال أوزير وحملته، وكان على رأس المستقبلين دان والد أوزير بالعماد، وساكبو كاهن منف وعين شمس، وأمه تانا، وأمه الثانية "تونا" زوجة دان وأم إيزي، وكذلك أخته بالعماد نفتي...

حزن أوزير كثيرًا لمَّا سمع أخبار ست؛ فهو الآن عدو لوالده، وزعيم لعصابات أشرار الرمال الحمراء، شرقيّ النيل، وشعر أوزير بالأسى لما فعله ست بأخته الشقيقة نفتي؛ إذ هي الآن حامل منه بغير زواج مقدَّس في معبد حتحور، ولمَّا علمت إيزي بما حدث لأختها لم تستطع منع نفسها من البكاء.

زادت مياه الفيضانات، وامتلأت الخلجان والمستنقعات والأحراش والبحيرات بالمياه الحمراء التي ينقلها حابي بشادوفه المقدَّس، من جنات الآلهة في السماء إلى جنة المصريين في وادي النيل... وتحوّل الناس إلى الصيد والالتقاط، حيث غطّت المياه الأراضي الزراعية، ونظَّم أوزير الجنود والصيادين والعبيد لصيد الطيور والحيوانات التي ألجأتها مياه الفيضان إلى جزر النيل وأدغال الشاطئين.

وبناءً على رأي دان وساكبو، قام أوزير ابن الآلهة، تصحبه زوجته المقدَّسة إيزي، برحلة مقدَّسة إلى مدن الجنوب؛ بهدف تأكيد الوحدة الأولى بين المنتمين "للقلب الواحد واللسان الواحد"، وكان مع أوزير وجوه من منف وعين شمس وبعض جنوده وعبيده النوبيون، تحملهم ثلاث سفن ببلوسية، كما تحمل هدايا قيمة من ببلوس وفينيقيا، وفي الطريق البري حملة من الجنود والعبيد، تقود قطعانًا من الماشية والحمير وحمار الجبل والأبقار والوعول والماعز والتيوس والخنازير؛ لتقديمها هدايا لحكام مدن ومقاطعات الجنوب.

نزل بإقليم البوصة وأشهر مدنه: داشور، اللشت، ميدوم، اللاهون، امسوحا، نحوس، مير، وحوت نوب.[٢٧]

ونزل بإقليم الثعبان وأشهر مدنه: شاس حتب، ليكو[٢٨] بانو، سوهاج، وطينا.

ونزل بإقليم النسر وأهم مدنه: أبيدوس، داندارا، قفطو، أسبوس، ناكادا، طيبا، أرمنتو، طولو، إسنا، إدفو، بيجا، آبو[٢٩] وأسوان.

ونظرًا للعلاقة التي توثّقت بين أوزير وجنوده وعبيده من النوبيين، ترك السفن عند الشلال الأول، وتجاوز -ومعه جنوده وعبيده النوبيون- منطقة الشلال واتّصل بأهل النوبة، الذين عقدوا معه معاهدة، لمّا علموا من مرافقيه النوبيين أنه ابن الآلهة، وبأنه يوحّد الأرضين ليحمي المصريين من أشرار الرمال الحمراء، وعصابات بدو الصحراء.

ترك أوزير ما بقي مع الحملة البرية من بقر وماعز وحمير وحيوانات أخرى لأهل النوبة، بعد أن عقدوا معه المعاهدة والحلف.. وأمدّ النوبيون أوزير بكمّيّة من ذهب النوبة، كما وهبوه ثلاث سفن من خشب السنط... وعاد أوزير والحملة مع مياه الفيضان إلى الشمال.

قبل أن يصل أوزير إلى منف وصلته أخبار عن مصادمات قادها دان بنفسه ومعه مِرن وميدوم ضد عصابات الرمال الحمراء... وكان أوزير يشعر بالقلق وبأن الجنود يخفون شيئًا ما عنه وعن إيزي... وما إن وصل أوزير إلى مرفأ منف حتى علم بالفاجعة التي آلمته وآلمت "إيزي"، وهي مصرع "دان" في معركة بين الجبتيين وبين عصابات الرمال الحمراء والبدو... وأبلغ ساكبو ومِرن وميدوم ووجوه منف أوزير، بأن "دان" قد استخلفه على كلِّ جبتانا، أي على منف وعين شمس وبقية مدن الشمال والجنوب، حاكمًا عامًا على "كل المتحدين بالقلب واللسان" كذلك أبلغوه، أن "دان" أباه بالعماد كلّفه بتطهير الصحراء الشرقية من عصابات البدو والرمال الحمراء، التي يتزعمها "ست" أخوه بالعماد والأخ الشقيق لإيزي ونفتي... كذلك كلّفه "دان" بأن تكون عين شمس عاصمة الأرضين.

في اليوم الثاني من انتقال أوزير إلى عين شمس، أُعِدّت حملة برية ضخمة لتطهير دروب الصحراء شرق النيل من عصابات البدو وعصابات الرمال الحمراء. قامت مجموعة من السفن والطوّافات بنقل جنوده وحميره إلى الشاطئ الشرقي للنيل عند اللاهون، وقسّم الجنود إلى مئات، جاعلاً على كل مائة أحد قواده في المدينتين ومن أشهرهم: "نوتي"، و"وان"، و"بيبي" من عين شمس، و"مِرِن" و"ميدوم" من منف، و"ياي" و"هريدو" من ميدوم... كذلك استعان أوزير بجنود وبحارة من بَحْدَت وبوباسطا وسايس وتانيس ومنديس وآسيوم... وأصرّت هاجال زعيمة أتريب، أن تمدّ أوزير بعدّة زوارق سريعة من خشب الجميز المحفور، وعلى كل زورق مجموعة من النساء المشهود لهنّ بالرمي بالنبال.

رسا الأسطول شرق اللاهون، ونزلت مجموعات الجنود، كلُّ مجموعة اتّجهت بقائدها إلى درب من دروب الصحراء الشرقية... وبعد رحيل مجموعات الجنود، حاولت مجموعة من عصابات الرمال الحمراء إشعال النار في السفن، إلا أن نساء أتريب الراميات بالنبال، انهلن عليهم بسهامهن، فقُتِل مَنْ قُتِل وفرّ مَنْ فرّ... وتعقّبتْ المجموعات العسكرية عصابات البدو، وعصابات الرمال الحمراء، وخرّبت قراهم، وسِيقت دوابهم وحيواناتهم، وأُخِذَ أطفالهم عبيدًا.

أُسَر "ياي" "ست" الذي كان جريحًا يعاني منذ الحملة التي قادها والده دان، وما إن رأى أوزير ست حتى بكى وقبّله ونظّف جراحه وضمّدها... وعادت الحملة ظافرةً إلى عين شمس.

قدّم أوزير قرابين كثيرة من بقر وغنم وماعز على مذابح الآلهة في عين شمس... كذلك قدّم رؤساء المئات قرابين أخرى عنهم وعن جنودهم كما تقضي شريعة تحوت.

وُضِع ست في "بيت الشفاء" المُلْحَق بالمعبد الكبير في عين شمس، وكان أوزير يشرف بنفسه على علاج ست هو وتونا أمه... رفضت نفتي الزواج من ست بالرغم من أنها قد أنجبت طفلة منه؛ وذلك لأنه سبق أن أذلّها واغتصبها، وأيّدها في رفضها مجمّع الكهنة المبجّلين (حيث شُرِع زواج الأخوات لتأكيد أحقية الابن في وراثة سلطة الأب؛ بأن يكون الابن مرشحًا لوراثة أبيه فيعضده زواجه من أخته الشقيقة)[٣٠]... فلمّا أوصى دان بالسلطة لأوزير، لم يعد ثمة مبرر

لزواج ست من أخته نفتي... هذا فضلاً عن أن الاغتصاب والإذلال في شريعة تحوت يحول دون الزواج المقدّس وإكليل المعبد.

بعد الفيضان، برزت الأراضي مكسوةً بالطمي الذي يتركه النيل. ونُزِحت المياه من المستنقعات الضحلة، ووُزِّعت أسماكها على الناس. وبعد أن جفّت بدأت حراثتها استعدادًا لبذر البذور... وشعر الجبتيون في الأرضين أن أوزير حقًا ابن الآلهة: إذ إن الشادوف الذي ألهمه بصناعته الإله بتاح، والذي شاع استعماله في الري ونزح المياه، سهّل للناس مسألة التعامل مع المياه... كذلك نُفِّذت تعليمات أوزير فأُنْشِئت إدارة "للمياه والترع"(٣١) وإدارة للبذور والشون والحبوب في كل مقاطعة في الشمال والجنوب... كذلك نظّم أوزير جميع المعابد في المدن والمقاطعات، وألحق بها "دورًا للشفاء" ودورًا للأطباء والكهنة والسحرة والتلاميذ الكتبة والشمامسة... وكان أوزير أول معلّم على أوراق البردي.

عَلِمَتْ تانا أم أوزير بشفاء ست، فقالت لأوزير: "حكى السابقون أن أفعى الكوبرا، هاجمها نسر كبير فجرحها، وعانت كثيرًا من النمل والحشرات التي هاجمت جراحها، فمرَّ عليها رجل طيب، فطلبت منه مساعدتها حتى تشفى... وبالفعل غسلها الرجل الطيب وعالجها حتى شفيت من جراحها... وبعد شفائها وُجِدَ الرجل الطيب صريعًا؛ فقد لدغته الأفعى التي سبق أن عالجها". ابتسم أوزير لأمه وقال لها: "لا تنسي يا أماه أنني ابن الآلهة، وأن الآلهة ترعاني".

هوامش سِفْر "رسل من أرض الآلهة"

١- بحيرة البجع: بحيرة المنزلة، وكانت ملاذًا آمنًا لأسراب البجع والطيور المائية.

٢- البحر الأخضر: هو البحر الأبيض المتوسط في الكتابات المصرية القديمة.

٣- أرض النحلة: تسمية مصرية قديمة لأرض الدلتا التي تفيض لبنًا وعسلاً، ويبدو أن الدلتا في القديم كانت تمتلئ بنحل العسل؛ بسبب كثرة زهور اللوتس والبردي والسوسن..

٤- أيام النسيء الخمسة أو الستة في آخر السنة الشمسية المصرية (القبطية) وُضِعت في نهاية التقويم الشمسي لضبط التقويم مع الفصول والزراعة (يبدو أن المصريين اعتمدوا قديمًا على تقويم قمري، ثم ثبت لهم عدم توافقه مع الزراعة؛ فاستبدلوا به التقويم الشمسي).

٥- "حمار الجبل" "هُور أو حُور آس" باللغة المختلطة بين المصريين والآسيويين، وانتقل الاسم "هور آس" إلى الإغريقية ثم اللاتينية فاللغات الأحدث (الحصان).

٦- تبنَّى ساحلُ الشام الفينيقي بعض آلهة مصر كأثر من آثار الاتصال الحضاري.

٧- أرض الآلهة ــ أرض مصر في أدبيَّات الشعوب المجاورة.

٨- بالفعل كانت ببلوس مركز تسويق البردي المصري، بل يرى اللغويون أن اسمها منحوت من "الببروس" المصرية المعبِّرة عن ورق البردي، والتي أثَّرت في اسم الورق في كافة اللغات، بل إن "الببروس" المصرية هي جزر bible الكتاب المقدس.

٩- الكتابة المصرية تصويرية وصوتية أثَّرت في لغات البحر الأبيض والمنطقة السامية، ولا يزال الحرف الأول العبراني متأثِّرًا بوجه الثور البيضاوي ذي القرنين في الرسم المصري.

١٠- راجع: سليم حسن -مصر القديمة- عدة أجزاء طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب -١٩٩٢.

١١- راجع: نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم -عدة أجزاء- دار المعارف -الطبعة الثالثة ١٩٦٦.

١٢- نجيب ميخائيل، وكذلك في العهد القديم: ملوك أول ــ أرميا ــ هوشع.

١٣- الموت والحياة أمران يهتمُ بهما الإنسان منذ القديم، ويرفض الإنسان فكرة الفناء الأبدي؛ فجاءت الأديان وأيَّدت ذلك الرفض، وتحدَّثتْ عن عالم آخر... واستمرَّت فكرة "البعث والثواب والعقاب" ليس لمجرَّد أن الناس يؤمنون بها، بل للقيمة الأخلاقية والاجتماعية لها... وقد سبق المصريون إلى الإيمان بالبعث والثواب والعقاب، وتثبت الاكتشافات تأثُّر حضارات البحر الأبيض والهلال الخصيب باللاهوت المصري، بل وُجِدَت تعاويذ الحفظ والإحياء المصرية في مساحات شاسعة في الشرق الأدنى... والمردِّدون "الشوباش" تماثيل مصرية صغيرة يفترض أنها تردِّد الدعاء من أجل الميت.. ولا تزال كلمة "شوباش" على ألسنة العامة في مصر تذكِّرنا بتماثيل المردِّدين القديمة أو "الشوباش".

١٤- راجع: نجيب ميخائيل وسليم حسن حول الدين، والعبادات، والطهارة، وماء الوضوء، وتحريم أكل السمك والخنزير على الكهنة.

١٥- كان المجمع المقدس ومحكمة تحوت مسئولين عن الجنايات وبخاصة القتل، وكان أهل القتيل يهبون المعبد ثورًا يأكل منه الكهنة ويضربون ببعضه جثة القتيل فتعود إليها الروح وتخبر الكهنة بالقاتل.. وأخذ بنو إسرائيل ذلك عن المصريين (وقصَّتْ ذلك سورة البقرة في القرآن الكريم).

١٦- أرض الشمال وأرض الجنوب.

١٧- "القلب" في المدوَّنات المصرية إشارة للفكر الواحد والانتماء لتاسوع إلهي واحد، واللسان إشارة لوحدة اللغة، وهي من أهم عوامل وحدة مصر القديمة.

١٨- بقيت عبارة "سكان الرمال الحمراء" في العصور التاريخية المصرية، كأثر من آثار الإشارة إلى بدو الصحراء الشرقية وسيناي الذين تعوَّدوا -في عصور ما قبل التاريخ- الإغارة على وادي النيل.

١٩- بيروت، بائيروت -وتعني "الآبار" في اللغة الفينيقية القديمة، وهي لغة سامية.

٢٠- "إرواد" مدينة مثلثة، وربما كانت أصل طرابلس الحالية؛ حيث إن "ترى بولس" في الإغريقية تعني المدينة المثلثة.

٢١- الإله "مولوخ" (أو مالك؟!) كانت تُقدَّم له تضحيات من الأطفال والغلمان (أُحرِقَ على مذبحه مائتا غلام أثناء حصار قرطاج سنة ٣٠٧ ق.م — راجع نجيب ميخائيل).

٢٢- البغاء المقدّس، والتضحية بالبكارة بالنسبة للبنات، والخصي بالنسبة للذكور والرهبان أمور مشهورة عن ببلوس والساحل الفينيقي في العصر السحيق (نجيب ميخائيل).

٢٣- راجع نجيب ميخائيل –مصر والشرق الأدنى القديم.

٢٤- أرض الآلهة: أرض مصر.

٢٥- الحمر: لفظ أطلقه المصريون على الفينيقين (نجيب ميخائيل).

٢٦- حمار الجبل "هور آس" في المصرية القديمة والسامية القديمة وهو الحصان.

٢٧- "إمسوحا" منطقة التماسيح، وهي الفيوم حيث تمتلئ بحيراتها بالتماسيح في ذلك الزمان... "إمسوح" هو التمساح في اللغة المصرية، وحيث إن العرب لا تماسيح في أرضهم، فإنهم استخدموا اللفظ المصري مع تحريفه بتجميد "تا" التعريف المصرية في اللفظ فصار "تمساح" (راجع لويس عوض ـ مقدمة في فقه اللغة العربية).

٢٨- ليكو: أسيوط الحالية؛ وهذه هي تقسيمات ما قبل الأسرات؛ واستمرّت بعد ذلك، وأشار إليها: ديودورو الصقلي، وبلوتارخ، وهيرودوت، ومانيتون وجوزيفوس (جون ويلسون ـ جيمس هنري برستد).

٢٩- آبو أو أمبوس هي الفنتين بالتسمية البطلمية الإغريقية، والتسمية المصرية والإغريقية مشتقةً من الفيل في اللغتين.

٣٠- ٣١- راجع الشرائع المصرية وتنظيم الإدارات في الدولة القديمة (كأثر من آثار عصر ما قبل الأسرات) عند سليم حسن (مصر القديمة) جيمس هنري برستد (فجر الضمير) نجيب ميخائيل (مصر والشرق الأدنى القديم) فوستيل دي كولنج (مصر في العصر العتيق).

سِفْر أوزيريس

الإصحاح الأول

"إن أوزير هو ابن الآلهة حقًا، إنه سليل رع ربّ الأرباب، وسليل بتاح الإله الخالق الصانع، وسليل أتوم الذي هو رع، والذي خلق نفسه بنفسه، إن أوزير هو ابن تحوت؛ ولهذا ينطق بحكمته". هذا ما قاله "ساكبو" أمام "باورعا" و"بيبي" وجميع المبجّلين في معبد عين شمس، الذي صار (معبد كل الآلهة ومعبد كل الجبتيين)، ورد "باورعا": "إن أوزير ليس فقط ابن الآلهة، بل إنه أيضًا تلميذ الآلهة، إن "جبّار" رسول جنة الآلهة، ذا الأجنحة الذهبية، يهبط في أوقات محددة بأمر من الآلهة فيرقى إلى جنة الآلهة ومعه أوزير، فيجلس أوزير مع الآلهة ويتعلّم منهم، ويتعلّم من معاونيهم من الملائكة، تعلّم من الإله بتاح ومعاونيه صناعة ورق البردي والأحبار، وتعلّم من إله "القدر والحظ" ومعاونيه طريقة الكتابة وحروفها، وتعلّم الحكمة من مجلس تحوت وملائكته، وتعلّم البناء بالأحجار من الإلهين "جب" و"بتاح".. ومعاونيهم من الملائكة بناة قصور الآلهة من الأحجار الكريمة في الفردوس؛ ومنهم أيضًا تعلّم قدّ المسلات؛ إذ إن كل إله له مسلة قُدّت من حجر واحد من أحجار الجنة، لتقف كرمزٍ لكل واحد من التاسوع: مسلة من حجر الماس، مكلّلة بهرم صغير من الذهب لربّ الأرباب رع، تقف شاهدًا للطريق المؤدي إلى فردوسه، ومسلة من الياقوت ذات بِنْبِنٍ [1] أو هرم صغير من الذهب، تلمع في مطلع طريق النور المؤدي إلى فردوس أتوم... لقد تعلّم أوزير في الفردوس كل أسرار الآلهة... تمامًا كما تعلّم جده "جبتو مصرايم" في بداية التكوين، أسرار القلب واللسان [2] من آبائه الآلهة".

وعقّب "بيبي" قائلاً: "مَنْ كان يتصوّر أنه في الإمكان بناء المعابد ومحاكم تحوت وحتحور من صخور الجبل؟! إنها بنايات لا تستطيع الأيام أن تؤثّر فيها" [3].

وقال أحد المبجّلين: "إن المسلة التي قُدّت من صخرة واحدة، لتدل على عظمة أوزير، الذي علّمته الآلهة، وإن البِنْبِن الذهبي في أعلى المسلة، يستقبل أول سهام رع الذهبية التي يرسلها إلى معبده، ويرسل معها بركته وبركة التاسوع الإلهي إلى "جبتانا" أرض المصريين... إن بركة التاسوع تحلُّ علينا بفضل أوزير العظيم".

صمّم أوزير أول مقبرة حجرية في عين شمس، وأشرف هو ومعاونوه على بناء تلك المقبرة، وألحق بها مائدة قربان، ومذبحًا للأضاحي، وبابين وهميين مقدّسين لدخول "الكا" و"البا" (٤).

وبوحي من التاسوع، وسّع أوزير "دار المرضى" وألحق بها عددًا كبيرًا من الكهنة والأطباء والمساعدين والسحرة القادرين على التعامل مع الأرواح الشريرة (٥)... كذلك أُقيمَت مدرسة "التاسوع المقدّس" لتعليم القراءة والكتابة، وتدريس وحي الآلهة وأفكارهم والأقوال الحكيمة التي صدرت عنهم... وألحق بهذه المدرسة أروقة وبيوتًا لسكنى التلاميذ والشمامسة وصغار الكهنة (٦).

أُعيدَ بناء محكمة تحوت بالأحجار المنحوتة، كذلك أعاد الناس بناء بيوتهم بالأحجار أو اللبن، ولم يعد أحد يقيم في تلك الكهوف، التي كانت في القديم مأوى لمسوخ أبي الهول والأوثان وبقية شياطين الظلام... واهتمامًا بالتبادل التجاري بين مصر وببلوس، أقام أوزير دارًا ضخمة لاستضافة التجار والزائرين قريبًا من مرفأ عين شمس.

مع آخر أيام مسرى، رحلت أول بعثة تجارية إلى ببلوس وفينيقيا... سبعة سفن ضخمة من ذوات الأشرعة السبعة، تتبعها عدة زوارق خفيفة مدججة بالجنود للحراسة... والسفن السبعة محمّلة بأدراج البردي، وجرار الأحبار السوداء والحمراء، وعدة آلاف من غرارات القمح، وكمية من ذهب النوبة، وكميات من جرار الجعة والعسل ونبيذ البلح، وغرارات الملح والنطرون، وأعداد كبيرة من تماثيل الشوباشي (٧) والجعارين الحافظة والتعاويذ المقاومة للشرور والأعداء.

مع أول أيام تحوت (توت) بدأت مراسم إعادة دفن "دان" و"جبتو" في المقبرة الحجرية الجديدة في عين شمس... أمر أوزير باستخراج جثة دان من قبره في منف... وجثة جده "جبتو" بن "جبتو مصرايم" الذي هو من نسل الآلهة... وأُعيدَ تحنيط الجثتين... وفي حفل جنائزي ضخم، وبحضور ممثّلين من كل المقاطعات ومن معابد الشمال والجنوب، وباشتراك جميع المبجّلين والقوّاد والوجوه... جرَتْ -في البداية- مراسم فتح الفم، ثم مراسم الخلود في التابوت، ومراسم تعريف الكا والبا بالجثة المحنّطة... وحُمل التابوتان على زحافتين تجرّهما الثيران... وفي المقبرة الحجرية قام باورعا بتلقين (٨) دان قبل أن يُوارى في القبر فقال: "... سوف تُشَدُّ لك "الصراطا" بين الجبلين في الغرب... فلو كان قلبك مليئًا بحبّ الناس فسوف يكون مصيرك

"بارادويس". التي هي بيت النعمة، ولو كان قلبك بعيدًا عن حبِّ الناس فسوف يكون مصيرك "جي هنوم" التي هي وادي العذاب... قل لتحوت وبقية الآلهة المشرفين على الحكمة: إنك تحبُّ الناس، وتحمل عنهم أحمالهم، ولم تؤذِ أحدًا، ولم تأخذ شيئًا عنوة من أحد، قل لتحوت وبقية التاسوع إنك تستحق جنة الآلهة، بل جدير بأن تكون واحدًا من الآلهة الخالدين فتأكل من طعامهم وتشرب من شرابهم". وأعقب ذلك ترنيمات مقدّسة ردّدها كورال المنشدين والمنشدات من الشمامسة وبنات المعبد(٩).

ثم وقف ساكبو، يلقِّن جثة جبتو بن جبتو مصرايم، الذي هو من نسل الآلهة ويقول له: "قل يا جبتو [قل لتحوت رئيس محكمة التسعة، وقل للتنين المقدّس، وآكل القلوب والأكباد، وقل لسامل العيون، وقاطع الألسنة وباقر البطون، قل لهؤلاء جميعًا: لقد كنت راعيًا صالحًا لعشيرتي، وطّدت العلاقة بين عشيرتي والآلهة، ونظّمتُ قرابين الآلهة، وأقمت النصب والمذابح من أجل الآلهة، وحاربت مع عشيرتي لصوص الرمال الحمراء، الذين لا يعترفون بالتاسوع الإلهي، ويغتصبون النساء، ويسرقون الأطفال من آبائهم...] (١٠).

وتردّدت روايات كثيرة عن معجزات وكرامات حدثت حين إعادة دفن "دان" و"جبتو"... فنُقِل عن الكهنة المبجّلين أن جرح "دان" كان لا يزال ينزف حين أُخْرِجَ من تابوته القديم المصنوع من الجميز، فرُدّتْ إليه الكا والبا، وأعادت إليه الآلهة الحياة للحظات، أكّد فيها الوصية المقدّسة لأوزير، كما صبّ لعناته على ولده "ست".. ويؤكد شهود العيان أن "دان"، الذي أحيته الآلهة قال: إن "ست" (أو ستِن كما تعوّد أن يناديه وهو صغير) هو رسول آلهة الغرب والظلام والعواصف...." كما يُقْسِم أهل منف وعين شمس أن دان بمجرّد أن انتهى من وصاياه، خرجت من صدره لمعة من نور، ومن رأسه خرج ما يشبه البرق، ثم تمدّد في تابوته بعد [أن فارقته لمعةُ الكا وبرقة البا].

ويؤكِّد الجميع أنهم حين فتحوا تابوت جبتو بن جبتو مصرايم، وجدوا الجثة سليمة كأنها محنّطة في نفس اليوم، وبعد أن تلا المبجّلون مراسم فتح الفم، انتبه جبتو وكلّم الجميع من خلف شرائط الكتان التي تدور حول جسده ورأسه، وقال لهم: "إن حفيدي أوزير، وحفيدي حور سيصلحان السفينة التي يفسدها

ست". وقال أيضًا: "ثم يأتي رجل من ثينا فيتم إصلاح السفينة". ثم خرجت من جبتو لمعة الكا وبرقةُ البا، وتمدّد في تابوت الأرز الجديد.

ولُدَت إيزي ابنها حور مع بداية هاتور، بعد أقل من سنة من رحلة "ببلوس" الأولى، وبعد ذلك بأشهر ولدت نفتي ابنتها نيت... وفي اليوم الثامن من هاتور تم ختان حور على يد الطبيب الكاهن "باورعا". وقُدِّمت القرابين لرع وحتحور وتوت وبقية التاسوع الإلهي.

كان ست في رحلة صيد شمال عين شمس، وتوغّل بحصانه إلى تخوم مناطق صيد أتريب، وكان ست يقول في نفسه: "لولا الحصان ما استطعت أن أصل إلى حدود أتريب، وإنها لفرصة أن أقتنص واحدة من الفتيات الأتريبيات الجميلات" وربط ست حصانه في شجرة، وظل يسير متخفيًا بين الأدغال ويتتبع أصوات بنات أتريب... ورأى واحدة منهن تطارد خنزيرًا بريًا فألقى بنفسه عليها، ثم أمسك بها واقتادها إلى حيث ربط حصانه، لكنه ما إن وصل إلى حصانه حتى فوجيء بشبكة تُرْمَى عليه وتقيِّد حركته، كما فوجيء بعدد كبير من الفتيات الأتريبيات حاملات النبال والسهام... وما كان لسِت إلا أن يستسلم لهن؛ فاقتدنه على حصانه مكبّلاً إلى أتريب.

وصلت العدّاءة "نيما" (التي لا يستطيع النمر اللحاق بها) [11] إلى عين شمس، لتبلّغ رسالة "هاجال" الشفوية إلى أوزير ابن الآلهة.... وشعر أوزير بالضيق والحرج مما فعله أخوه، وأيقن أوزير من خلال أقوال عدّاءة البريد "نيما"، أن "هاجال" لن تطلق سراح "ست" إلا إذا حضر أوزير بنفسه واعتذر عن أخيه.

حضر أوزير قبل الغروب ممتطيًا حصانًا أبلق، ومعه كبير كهنة عين شمس، وهو المقدّس "باورعا"، ومعه أيضًا "وان" قائد المائة، وعدد من الجنود والعبيد يركبون حميرهم ويقودون هدايا من المواشي، ويحملون هدايا من الذهب وجرار الجعة لسيدة "أتريب"... وانحنت "هاجال" لأوزير ابن الآلهة، وأحسنت استقبال وفد عين شمس، وذُبِحَت الذبائح وأكرم الأتريبيون أوزير والقادمين معه... بل وقدّموا لأوزير عدّة أثواب من كتان تانيس، وعدّة جرار من العسل... وأخيرًا فكّوا قيود "ست" وسلّموه إلى أخيه أوزير... وأُشْعِلَتْ المشاعل، وودّعت هاجال أوزير ووفد عين شمس حتى نهاية مناطق الصيد الأتريبية.

قالت "نيما" عدّاءة المراسلات لهاجال زعيمة أتريب: "إن أوزير ابن الآلهة حقًا؛ فقد رأيت النور يشعُّ من وجهه، بل إن وجهه هو وجه الإله رع... وكذلك ابنه حور، فقد رأيته على كتف أمه إيزي، ورأيت النور ينبعث من رأسه، كما رأيت أجنحة الملائكة مثبّتةً على كتفيه الصغيرين."

فردّت عليها الزعيمة "هاجال" "إنه حقًا ابن الآلهة، لا بل إنه واحد من الآلهة... (ما الفرق بين الإله والإنسان؟ إن الإنسان يفكّر في أشياء ويستحيل عليه إيجادها، أمّا الآلهة فإن أي واحد منهم إذا فكّر في شيء، فإنه يُوجدُ ويصبح حقيقة واقعة) (١٢) إن أوزير فكّر بقلبه في المحراث؛ فكان المحراث، وفكّر بقلبه في الشادوف؛ فكان الشادوف... وفكّر بقلبه في النحاس؛ فعرف النحاس، وفكّر في القصدير؛ فكان القصدير... وفكّر بقلبه في الاتصال بالحمر في ببلوس وفينيقيا؛ فبدأت الرحلات والتجارة مع أمم تعبد آلهةً أخرى [إن بتاح الذي خلق العالم وكل الأشياء، قد خلق كلَّ شيء بقلبه ولسانه؛ لذلك فهو سيد الصُّناع... إن "نون" سطح المحيط الأزلي قد طفتْ عليه بيضة عظيمة خرج منها "أتوم" الذي تحوّل إلى رع، والذي خلق نفسه بنفسه... فكّر أتوم فعطس ففاض عنه "شو" إله الفضاء، وبصق فوُجِدَتْ "تفنت" إلهة الندى، وزوّج "شو" من "تفنت" فأنجبا "جب" إله الأرض، و"نوت" إله السماء] (١٣)... أنا هاجال مسئولة أتريب أقول: إن أوزير هو حقًا واحد من الآلهة."

الإصحاح الثاني

أقام ست مع أمه تونا، بعد أن أفرجت عنه "هاجال" الأتريبية، وعلى الفور، تركت نفتي بيت أمها لتعيش مع ابنتها نِيت في بيت أخيها أوزير وأختها إيزي...

بالرغم من المشكلات الكثيرة التي أثارها ست، فإنه أصر على أن يكون قائد مائة، وعارض "وان" ذلك، إلا أن أوزير استجاب لرغبة أخيه "ست" وعيَّنه بالفعل قائد مائة... وأصرَّ ست -مرة أخرى- على أن يختار جنوده ومعاونيه، وعلى أن ينعزل بهم في جنوب عين شمس قرب المرفأ، الأمر الذي لم يرضِ عنه بقية قوّاد المائة.

صارت عين شمس، بزعامة أوزير، عاصمة للأرضين: أرض الشمال وأرض الجنوب... وتحوّلت عين شمس إلى عاصمة كبيرة يقصدها الناس من الشمال والجنوب... مئات السفن والطوّافات تفد إليها كل يوم، ومن الطرق البرية يصلها الكثيرون على حميرهم أو سيرًا على الأقدام... معابدها تعجُّ بالمصريين في كافة المناسبات، ومدارسها الكهنوتية تضمُّ الآلاف الذين يتعلّمون الكهانة والطب والكتابة والقراءة والسحر... بل وتوجد أروقة لإقامة طلاب الشمال والجنوب من المغتربين...

جمع أوزير كلّ من له خبرة بالطب والسحر والجراحة في معابد عين شمس، فكوّن أول مجموعة من "السناتوريا"، أو الدور العلاجية الملحقة بالمعابد [١٤] الأمر الذي أدى إلى اجتذاب المرضى والمؤمنين للمعابد، وابتعادهم عن مقاصير السحرة الزائفين الذين تعوّدوا على ابتزاز المرضى.

قويت المدن في الشمال والجنوب واتسعت الرقعة الزراعية، وانتشرت الحرف والصناعات، وزادت أعداد الناس... ونظّم أوزير المقاطعات، فجعل "امسوحا" [١٥] عاصمةً لإقليم "البوصة" وهو الإقليم الشمالي من أرض الجنوب، وأهم مدنه "داشور"، "اللشت"، "ميدوم"، "امسوحا"، "نخوس"، "مير" و"حوت نوب"... وجعل "طينًا" أو ثينا عاصمة للإقليم المتوسط، إقليم الثعبان، وجعل "طيبا" عاصمة إقليم النسر، والذي يضمُّ مدنًا مثل "أبيدوس"، "داندارا"، "قفطو"، "أسبوس"، "نكّادا"، "طيبا"، "أرمنتو"، "طولو"، "إسنا"، "أدفو"، "بيجا"، "أسوان"، و"فونتينا".

كذلك جعل تانيس عاصمة لأرض النحلة، أرض الشمال... وفرض أوزير على كلِّ مقاطعة إعداد جيش خاص بها للتصدّي لبدو الصحراء الشرقية، وأعطى حكام المقاطعات حرية في التعامل مع البدو، سواء بالحرب والقهر، أو بالسيطرة والاحتواء والولاء، كما نظم أوزير أول نظام للبريد، يعتمد على العدائين أو راكبي الحمير الذين ينقلون الرسائل الحكومية عبر المدن والمقاطعات.

[أثبت -أنا مانيتون- جزءًا من بردية قديمة تسير مع سياق هذا الإصحاح. تقول سطور هذه البردية: استغلّت المدن والمقاطعات زيادة أعداد الناس، فنظّمت عمليات التسخير [١٦] وجمع الناسُ للعمل في تجفيف المستنقعات، وتقطيع الغابات والأحراش، لتوسيع مساحة الأرض المزروعة، وكذلك سُخِّرت أعداد كبيرة لشق الترع والقنوات والمصارف... وأصبحت الحبوب المصرية تغزو أسواق ببلوس وفينيقيا، بالإضافة إلى أوراق البردي وثياب تانيس الكتانية والملح والنطرون والتعاويذ وتماثيل المردِّدين والأسماك المملحة والحلي الذهبية والفضية والنحاسية والثوم والبصل].

كذلك، فإن الأسواق المصرية امتلأت ببضائع من ببلوس وفينيقيا ومدن البحار والجزائر، من ثياب ملوّنة، وحلي صِيْغَت من الأحجار الكريمة، وزيت زيتون، وفواكه مجففة...

في بداية العام، في شهر توت، أُقِيْمَت احتفالات في عين شمس بمناسبة مرور خمسة عشر عامًا على ولاية أوزير؛ وهو ما يُسَمَّى بعيد "نصف سِد"، حيث إن عيد "سِد" يكون بعد ثلاثين عامًا [١٧]... ورأسَ "باورعا" احتفال المعبد، وقُدّمت القرابين والسكائب، وفاض منها ما أُعْطِي لطلاب المعابد والمدارس والمرضى في "السناتوريا" الملحقة بالمعابد... وحضر ممثلون عن المدن والمقاطعات، وأشاد الحضور بأوزير ابن الآلهة... ولم يكن ست حاضرًا، الأمر الذي أثار عدم الارتياح عند أوزير، كما أثار الريبة لدى قواد المئات وإيزي ونفتي وتانا.

جاء عداء من منف يبلّغ أوزير، أن عدّاء من ميدوم، حضر إلى منف ليبلّغ رسالة بأن ست وجنوده، قد أغاروا على قرية للبدو في شرق النيل، وأن هذه القرية متحالفة مع "ياي" ومدينة ميدوم، الأمر الذي أثار غضب "ياي" وأهل ميدوم... وفي اليوم التالي وصل الكاهن "زناو" وقائد المائة "هريدو" ليوضحا ما فعله ست وجنوده، وفي نهاية اللقاء، قال هريدو لأوزير: "أيها المبجّل أوزير، إن ست وجنوده

الأشرار، حينما يهاجمون قرية البدو بأعلام رع وبتاح، فإنهم يعطون البدو الحق في مهاجمتنا في ميدوم، حيث إننا نرفع نفس أعلام جبتانا... إن ست لا يقصد إلا الفتنة وإشعال نار الحرب، إن الآلهة لا ترضى عما يفعله ست".

استاء أوزير، وأرسل بعثة استرضاء لياي وأهل منف أولاً، كما أن هذه البعثة استعانت بالمقدّس زناو وقائد المائة هريدو، وذهبوا إلى قرية البدو للاسترضاء ودفع التعويضات المناسبة.

لبّى أوزير دعوة "دِمُو"، أمير طينا ومقاطعة الثعبان، لزيارة طينا، واستغل أوزير مياه ما قبل الجفاف، ورحل في شهر هاتور بسفينته البلوسية، إلى الجنوب ومعه أمه تانا وزوجته وأخته إيزي وأخته نفتي، ونِيت وحور وبعض الجنود والعبيد والأتباع... وكانت جموع المؤمنين بالإله أوزير ابن الآلهة، تراقب مجرى النيل، عسى أن تحظى بإلقاء نظرة على سفينة الإله ابن الآلهة.. وحدثت معجزات كثيرة، رواها كثيرون من الذين قضوا ليالي على شواطئ النيل يتابعون أخبار الإله أوزير... تؤكّد روايات متواترة أن الإله حابي إله النيل، كان يحيط سفينة أوزير برعايته، فقد كان يدفع بالمياه بشادوفه المقدّس فيمتلئ المكان الذي تسير فيه السفينة المقدّسة بالمياه... وتؤكّد روايات أخرى أن السفينة المقدّسة كانت، إذا ما أشرق القمر، تطير فوق سطح المياه، وكأنها فراشة من فراشات جنة الآلهة التي يتحدّث عنها الكهنة والعالمون بالأسرار... وروايات أخرى تؤكّد أن تاسوع الآلهة كان يرافق السفينة المقدّسة... حيث ظهر الآلهة في صورة طيور من الذهب والياقوت والزمرد والعقيق، تحيط بهم هالة دائمة من النور في الليل، وغمامة ممطرة من السحاب بالنهار[١٨].

اُسْتُقْبِل أوزير استقبال الآلهة في طينا، فقد خرج لاستقباله جموع حاشدة من السلالة الجبتية المصرية... وكان على رأس المستقبلين في مرفأ طينا الأمير "دِمو" وزوجته الأميرة "نِفُر" وابنهما الأمير مينا، وقائد المائة ساميدو، والكاهن الأكبر "سبهو".

[وأثبت -أنا مانيتون- كاتب أسفار التكوين المصرية، أجزاءً من بردية قديمة منقولة عن نقوش حجرية من عصر الإله أوزير، تستقيم مع السياق... تقول سطور البردية: ... بعد أن اُسْتُقْبِل أوزير في معبد طينا وفي القصر الملكي، خرج، تحفّ موكبه هالة من الآلهة في صورة طيور من الذهب والزمرد والياقوت

والعقيق، مغلّفة بغمامة ممطرة... زار أوزير وموكبه الجبانات الغربية، في طينا وأبيدوس وسوهاج وبانابوليس، وأفصح أوزير عن إعجاب الآلهة بالمقابر الحجرية الجديدة المبنية من مصطبة واحدة أو مصطبتين.. وعبّر عن وعد الآلهة بحفظ الكا والبا للمدفونين في هذه المقابر (١٩) بشرط أن يتمّ التحنيط وكافة الطقوس بحسب الشرع المقدّس... كذلك أفصح أوزير عن إعجاب الآلهة بالمسلات التذكارية وبالأهرامات الصغيرة (البِنْبِن) الذهبية في أعلى تلك المسلات...]

اضطر أوزير إلى الرحيل على عجل إلى عين شمس، تاركًا أسرته المقدسة تقضي الشتاء في طينا، في رعاية الأمير دِمو وزوجته الأميرة "نفُر"... إذ جاء العدّاءون من الشمال، بأنباءٍ عن مشاكل كثيرة أثارها "ست" مع أهل تانيس، وسايس وأتريب وسبينيتوس.. وعن مشاكل أخرى افتعلها مع قواد المائة وخصوصًا "وان".

وصل أوزير، وعُقد اجتماع في مبنى محكمة تحوت، حضره الكهنة المبجّلون والوجوه وقواد المائة وبعض الجنود والأتباع والنوبيون... وقال "وان": "إن ست يحاول إثارة الفرقة والإساءة إلى وحدة الأرضين ووحدة كل الجبتيين..." وقال "باورعا": "إن ست يسيء إلى التاسوع المقدس، ويسيء إلى روح والده دان، ويشكك في اختيار الآلهة لابنها المقدس أوزير.." وتدخّل أحد الأنصار القدامى لـ "دِبْحِن" وموبي فقال: "لا ننسى أن السيد ست هو ابن السيد دان، وأنه -مثلنا- حريص على وحدة الأرضين، ووحدة كل الجبتيين"؛ فردّ باورعا على "زندر" الذي هو من بقايا عصر دِبْحِن: "أيها المبجّل زندر، إننا نتحدث عن الأفعال، لا عن النيات؛ وإن السيد ست قد أساء بأفعاله إلى العلاقات بين المقاطعات، كما أنه يتعمّد الإساءة إلى قدسية أخيه أوزير".

وانتهى الاجتماع بنزع كل سلطات ست العسكرية، ووضع كل السلطات في يد أوزير وقواد المئات.

كان الفيضان في العام السادس عشر من حكم أوزير وتوحيده للأرضين عارمًا، حتى أن سفينة أوزير البيلوسية، والتي عليها آل بيته، قد عادت من طينا في خمسة عشر يومًا من شهر أبيب... وبعد أن وصلت السفينة بعدّة أيام، توفيت تونا زوجة دان الأولى وأم ست... وبعد مراسم الدفن، قالت تانا أم أوزير لولدها المقدّس: "لازلت أذكّرك بالاحتراس من ست وأتباعه الأشرار والضالعين

معه من أمثال جبجا وزِندر... يا بني إن الروح إذا كانت مريضة فسوف تدمِّر صاحبها، بل وتدمِّر ما حوله... إنّ مَنْ تغضب عليه الآلهة يصبح لعنةً على نفسه وعلى غيره". ورد أوزير على نصيحة أمه بابتسامة تعبِّر عن الكثير من المرارة والحزن.

بعد توزيع هدايا "دِمُو" على الكهنة المبجّلين وقواد المئات والوجوه، قالت إيزي لأوزير: "إن الأمير دِمُو والأميرة نِفُر، وكلّ أهل طينا، قد أكرمونا غاية الإكرام، ليس فقط بالمعاملة الطيبة وحسن الاستضافة والهدايا، بل إن الجميع هناك يثقون في بنوّتك للآلهة، وفي المعجزات الكثيرة التي تمّت على يديك... إن المبجّل سِبْهو الكاهن الأعظم لطينا، قد جعلك في الصلوات الجماعية واحدًا من التاسوع المقدس... إن المبجّل سبهو يؤكِّد أن أحد الذين عادت لهم البا [٢٠] بعد الوفاة، والذي استحياه الكهنة للشهادة في جناية قتله، قد ذكر للمبجّل سبهو وكهنة الشهادة، أنه رأى أوزير إلهًا مع الآلهة، في محكمة تحوت السماوية، يأكل ما يأكلون، ويشرب مما يشربون.."

الإصحاح الثالث

في العام السابع عشر من ولاية أوزير، تأكَّدت سيطرة الإله أوزير على الشمال والجنوب، وصار أوزير ملكًا وإلهًا لكل الجبتيين، وفي يوم منتصف مسرى، اُحتُفِل في المعبد بتكريس أوزير إلهًا، وملكًا وضع الكهنة على رأسه المقدَّس التاج المزدوج لأرض الشمال والجنوب، وصاروا ينادونه باسمه المقدَّس أوزيريس [٢١].

وفي نفس اليوم، منتصف مسرى، أُقيِمَ الاحتفال السنوي بعيد "وفاء حابي" [٢٢] حيث قُدِّمت القرابين والمحرَّقات على مذابح جميع المعابد، وخصوصًا معبد العاصمة في عين شمس... وكان الإله أوزيريس في أوج سعادته؛ حيث كان يستضيف "دمو" أمير طينا وإقليم الثعبان، ترافقه زوجته "نِفُر" وابنه الصغير "مينا" و"ساميدو" قائد المائة... زُيِّنت المراكب البيلوسية المصنوعة من أرز لبنان، والمراكب المصرية المصنوعة من السنط المصري، وامتلأ النيل عند عين شمس بالأرماث والطوَّافات والسفن. كما امتلأ جو المكان بروائح زهور اللوتس وسيقان الريحان، فضلاً عن البخور الذي يتصاعد دخانه من مجامر الكهنة ليصعد إلى الآلهة في الأعالي... وسكرت الرءوس والآذان بترنيمات الكهنة وكورال الشمامسة، والأصوات الحالمة الصادرة عن عازفات الناي.

اختار الكهنة الأميرة "نيت" ابنة "نفتي" (التي صاروا ينادونها نفتيس)؛ حيث إن "نيت" لا تزال بكرًا لم تعرف الرجال، اختاروها لإلقاء عروس النيل... ركبت "نيت" سفينة الكهنة، بعد أن تطهَّرت في بيت التطهير المزدوج، وركبت معها الضاربات بالدفوف وعازفات الناي... وفي منتصف المسافة بين الشاطئين، قدَّم الكهنة عروسًا نُحِتت من خشب الجميز [٢٣] بملابسها الكتانية الزاهية، وبحليها الذهبية والفضية والنحاسية اللامعة، وعلى رأسها التاج المزدوج للأرضين... وما إن أوقف الكهنة عروس النيل على حافة السفينة حتى ضج المحتفلون على الشاطئين وفي السفن والطوَّافات والأرماث بالهتاف والتهليل... ثم تقدَّمت نيت، وقبَّلت عروس النيل ودفعتها لتسقط في المياه الحمراء المتدفقة؛ فازداد الهتاف والتهليل، مختلطًا بدقات الطبول والدفوف وترنيمات الكهنة المرتلين.

في المساء، وفي شرفة قصر أوزيريس العلوية، جلس أوزيريس وإيزيس ونيت ونفتيس وحوريس وتانا، وجلس معهم "دمو" أمير طينا وإقليم الثعبان، وزوجته

الأميرة "نِفُر" وابنهما "مينا"، وعدد من الأتباع والعبيد والخدم من طينا وعين شمس... وبعد أن أكل الجميع وشربوا... انتحى "دمو" جانبًا بأوزوريس، وطلب منه توثيق علاقة الجنوب بالشمال، بأن يقترن الأمير "مينا" بالأميرة "نيت" ابنة أوزيريس في العماد؛ فابتسم أوزيريس مجاملاً لدمو، واستمهله حتى الصباح.

تردّد أوزيريس في قبول عرض "دمو"، وبعد أن تطهّر، صلى صلاة المساء ثم استلقى في معتكفه في جانب من الشرفة العلوية.. وزاره تاسوع الآلهة، وعلى رأسهم رع وأتوم وتحوت... وناب تحوت عن التاسوع السماوي وقال لأوزيريس: "عليك أن تزوّج ابنتك نيت بنت نفتيس من "مينا" بن "دمو"، ولا يكن في قلبك حرج من جهة ولدك حورس؛ لأن آلهة القدر لم تجعل نيت من نصيبه... إن تاسوع الآلهة، وآلهة القدر، جعلت لحورس مصيرًا آخر... وإن الفتى "مينا" سوف يشترك مع حورس وآخرين في إصلاح السفينة التي سوف يُعْطِبها ست...".

استيقظ أوزير في صباح ذلك اليوم من مسرى مبكرًا، حيث كان الضباب مخيّمًا على المدينة المقدسة، وكان أوزير مشغولاً بالرؤية التي رآها في منامه، ويقول تحوت عن مينا: "إنه سوف يصلح السفينة التي أعطبها ست، وبأن حورس قد أعدّت له آلهة القدر والتاسوع المقدس مستقبلاً آخر، كما أنه لا يريد أن يقترن بنيت".

انتبه أوزير لدخول أمه تانا، وزوجته إيزي، وأختها نفتي، وبنت أختها نيت، التي هي ابنته في العماد. فقال لهن أوزير ابن الآلهة: "أشكر الآلهة على حضوركن مبكرات، فقد شغلني أمر خطير" وسكت لحظةً فرأى الاستطلاع يطل من وجوههن، فأكمل: "طلب الأمير دمو، أن يُوَثِق اتحاد الجنوب مع الشمال بزواج ابنه الصغير مينا من المقدسة نيت... ولـمّا كنت معتقدًا أن نيت من نصيب حور، أمهلتُ دمو في الردّ حتى الصباح..".

قالت تانا: "إن الأميرة نِفُر طلبتْ مِني ومن إيزي نفس الطلب؛ ولـمّا كنا نعتقد أن حور يريد نيت لنفسه، أجّلنا الرد عليها حتى نلقاك، وحتى نستطلع رأي حور." وأشارت تانا لإيزي أن تكمل. فقالت إيزي: "استيقظت قبل شقشقة الطيور، واتجهت إلى حيث يرقد حور، لأتحدث معه في الأمر، فوجدته مقبلاً للحديث معي، وكان مما قاله لي: "زارني في النوم تاسوع الآلهة، وتكلّم تحوت بلسانهم، وأفهمني أن الآلهة أعدّت لي قدرًا خاصًا، وأن نيت لن تكون امرأة لي، بل ستكون

امرأة لصديقي الأمير نارمر مينا، وفي نهاية الحُلم ألبسني جبار خادم الآلهة أجنحة ذهبية وأطعمني وسقاني من طعام وشراب الآلهة".

قال أوزير لأسرته المقدسة: "إذا كانت جبتانا أي أرض مصر، هي أرض الآلهة، فإن بيتنا، بيت جبتو مصرايم، هو وريث حكم الآلهة، الذين سبق أن حكموا الأرضين. لقد زارني التاسوع المقدس أمس، وأمرني تحوت، نائبًا عن الآلهة، بأن أزوّج نيت ابنتي في العماد، وابنة نفتي من الأمير نارمر مينا، وأخبرني بأن ولدي حور، قد أعدت له الآلهة قدرًا خاصًا... بل وأخبرني تحوت أن الفتى مينا، بعد اتصاله بالدم الإلهي بالزواج من نيت، سوف يصير مقدسًا، ويعيش خمسة أعمار، ويُصلح السفينة التي يعطبها ست".

دُعِي وجوه عين شمس للإفطار مع عائلة عين شمس المقدسة، حضر الإفطار المقدس "باورعا" و"وان" وعدد من قواد المائة، كما حضر ست في معية المقدس "زِنْدَر" (آخر بقايا دِبْحِـن وموبي)... وحضر الإفطار وفد طينا بزعامة دِمُو، والأميرة نِفُر وابنهما نارمر مينا، وقائد المائة ساميدو، والكاهن الأكبر سبهو... وبعد الإفطار، جلس الجميع يتحادثون... وكان أوزير -باعتباره إلهًا أو ابنًا للآلهة -لا يميل إلى كثرة الحديث؛ ولهذا قال دمو موجهًا الكلام لأوزير: "أيها المقدّس أوزير، يا مَنْ تجري في عروقك دماء ملكية إلهية، ويا مَنْ تأكّدت قداستك بزواجك من المقدَّسة إيزي، وهي أختك التي يجري في عروقها نفس الدماء الملكية الإلهية، يأيها الإله الذي يسير بيننا ويوحّد أرضنا: إن الآلهة وأبناء الآلهة لا يحتاجون -مثلنا نحن البشر- لوقت طويل للتفكير... إن الآلهة، وأبناء الآلهة، تنطق ألسنتهم مباشرة بما يدور في الصدور...".

فردّ المقدّس أوزير: "نطقتَ بالحق، أيها الأمير دمو، فالآلهة لا تحتاج لوقت للتفكير، فإن ما يفكِّر فيه الإله بقلبه ينطق به لسانه، بل أحيانًا يخْلُق الإله مخلوقاتٍ بعينها بمجرد تفكير القلب فيها، ونطق اللسان بأسمائها... لكنْ.. بالنسبة لي، فقد تعوّدت أن أستشير الآلهة في كل أموري؛ ذلك لأن بيت جبتو مصرايم من نسل الآلهة، الذين سبق أن عاشوا وحكموا أرض مصر... لقد زارني التسعة المقدسون، وتحدث تحوت بلسانهم، وبارك زواج نيت بالأمير نارمر مينا، واعتبره زواجًا بين الأرضين، بل ورفع التسعة من شأن الأمير نارمر مينا بهذا الزواج

من بيت الآلهة، ووعد التسعة الأمير نارمر بخمسة أعمار من أعمار البشر؛ وذلك لأنه بزواجه هذا يصير نصف إله".

ابتهج الحضور بإعلان أوزير عن رغبة الآلهة، وظهر السرور على وجوه الجميع، خصوصًا "دمو" أمير طينا، الذي ضمن بهذا الزواج صعودًا لبيته إلى مصاف بيت الآلهة في عين شمس... إلا تانا والدة أوزير، فقد بدا على وجهها شيء من التفكير العميق ممزوجًا بالضيق، فقد نظرت في وجه ست، فوجدت عدم الارتياح مرسومًا عليه، ولمحته يتبادل نظرة مريبة مع المبجَّل "زندر"، آخر أنصار "دِبْحِن" و"موبي".

طار العداءون على أرجلهم، وناقلو الرسائل على الحمير، من مدينة لأخرى؛ لكي يصل الخبر إلى جميع مدن الأرضين، وجميع حكام الأقاليم، بأن الزواج المقدس بين أميرة بيت عين شمس والأمير الشاب نارمر مينا، قد وثَّق العلاقة بين أرض الشمال وأرض الجنوب [وأسجّل أنا مانيتون من المتون المصرية القديمة ما يتفق مع السياق: قويت مصر بوحدتها، وصار النوبيون والأثيوبيون يخشونها، كما صار سكان الرمال الحمراء لا يفكِّرون في الإغارة على الجبتيين، كذلك صار الحوريون والقادمون من البحر الأخضر يخشونها ويدينون لها بالولاء... وصار التجار من كل لون، يفدون إلى مدن الشمال، بل وإلى عين شمس.. وتعدَّدت أشكال السيوف والدروع التي يستخدمها المصريون].

بعد رئاسة ست لإدارة القوافل والعشور (٢٤) زادت أمواله وكثر عبيده وجنوده والمسخرون في مزارعه ومراعيه وحظائره، وبنى لنفسه قصرًا من الحجر يفوق قصر أوزير ومعبد عين شمس... وذات مساء قالت تانا لأوزير: "يا ولدي مَنْ يغضب لسبب ما، يزول غضبه بزوال السبب، ولكن القلب المريض المليء بالضغينة والحقد الذي لا سبب له، لا يمكن أن يُشْفَى... احترس يا أوزيريس من ست فإن قلبه مليء بالضغينة والحقد... إنه عدوك مثلما يعادي الشر الخير، ومثلما يعادي الظلام النور..." وبالرغم من تأثُّر أوزير بكلام أمه، إلا أنه لم يأخذ بتحذيراتها، ولم يأخذ أيضًا بتحذيرات "وان" قائد المائة.... كذلك حذَّره المبجَّل "باورعا" كاهن عين شمس من عصابة "ست" و"زندر"، وذكَّره بما قاله تحوت في الرؤيا عن "ست وإعطاب السفينة"، إلا أن أوزير ظل يعامل ست معاملة الأخ لأخيه؛ ثقةً في وعد الآلهة.

في أيام النسيء من آخر السنة الجبتية [٢٥] وقبل شهر الآله تحوت [٢٦] تمت الاحتفالات في عين شمس، وكُلِّلت نيت في المعبد زوجةً للأمير "مينا نارمر"، ابن الأمير "دمو" أمير طينا، وذلك بحضور ممثلين عن المدن وعن الأقاليم، بل وبحضور عدد من أتباع آلهة ببلوس والساحل الفينيقي، وبعض تجار الجزر في البحر الأخضر...

في السفينة البلوسية ذات الأشرعة السبعة، والتي أهداها أوزيريس (الذي هو أوزير) للأمير الصغير نارمر مينا، رحل "دمو" أمير طينا وأمير مقاطعة الثعبان وابنه وزوجته و"نيت" والوجوه والجنود والعبيد والخدم في اتجاه أرض الجنوب... وقد زادت ثقة الأمير دمو في نفسه، وفي سيطرته على جميع أقاليم الجنوب؛ فقد صار ابنه مقدَّسًا بزواجه من بيت الآلهة في عين شمس، وظل "دمو" يردد بينه وبين نفسه أن ابنه صار من أنصاف الآلهة، وأن تحوت، حكيم الآلهة والمتحدث باسمها، وَعَدَه بخمسة أعمار من أعمار الفانين؛ أي أن "دمو"، ضمن أن يستمرَّ حكم ابنه قرابة ثلاثة قرون. [٢٧]

الإصحاح الرابع

في صباح يوم من أيام توت، صعدت إيزي إلى شرفة القصر لتطمئن على أوزير، فوجدته قد انتهى من قداس مشرق رع، ثم ما لبث أن رفع يديه في اتجاه رع فوق الأفق الشرقي، مرددًا سورتا [٢٨] جده جبتو سليل الآلهة، فرددت هي نفسها تلك السورتا التي يحفظها الجميع: [أثبت أنا -مانيتون- تلك السورتا المسجّلة في البرديات، وفي متون الأهرام ومتون التوابيت، وعلى قطع الأوستراكا، التي كان التلاميذ يتدرّبون على الكتابة عليها... تقول السورتا: أي رع العظيم الذي أخفتك أمك حتحور في الأفق الغربي، لتولد من جديد مع مشرق كل صباح... أيتها الآلهة المقدّسة التي هجرت الأرض إلى السماء، لك المجد ولك الحمد؛ فأنت أيتها الآلهة قضيت على التنانين ووحوش أبي الهول والمسوخ وشياطين الظلام... أنت أيتها الآلهة -أعطيتنا الأمن حتى زاد عددنا فصرنا كنجوم السماء ورمال الصحراء... وأعطيتنا الطعام فقد عرفنا القمح، وصنعنا منه خبزنا وشرابنا... أنت وهبتنا الحكمة المقدسة وفاتحة تعاليم آتون والقانون العظيم، حتى تستقيم بنا الأرض، مثلما استقامت الآلهة في السماء... أيتها الآلهة المقدسة صانعة أقدار الناس، وواهبة الدفء والحرارة، والماء والمطر والقمح والصيد... لك المجد في الأعالي].

انتبه أوزير لحضور إيزي، وبعد أن ردّ على تحيتها قالت له: "أي أزوريس [٢٨] العظيم.. يا ابن الآلهة... إن ابننا "حورس" في حاجة إلى التريُّض والراحة... لقد أرهقته معك في متابعة أعمال ما بعد الفيضان، وفي إرساله كعداء بالرسائل إلى مدن وقرى أرض النحلة، إنه سليل الآلهة، ويحتاج إلى الراحة للتأمل والتريض ردّ أوزوريس: "طالما أن حورس سليل بيت الآلهة؛ فعليه أن يعمل ويعطي كما تعطي الآلهة.... إنني فخور به فقد نطق بكثير من الحكمة التي لا تصدر إلا عن الآلهة... أمس وفي اجتماع المشرفين على حفر الترع ونزح المياه بالشادوف، كان في حكمة تحوت، وفي مهارة بتاح، إذن عليه أن يعمل ويعمل... ومع هذا فليخرج اليوم مع معاونيه وعبيده وخدمه، في رحلة صيد للشواطئ الشرقية من منف".

في آخر النهار دُعِي أوزيريس إلى قاعة تحوت، التي هي قاعة القضاء في المعبد الكبير في عين شمس؛ فقد حدث اشتباك بين ابنه حورس وأتباعه من جهة، وبين أخيه ست وأتباعه من جهة أخرى... وفهم أوزيريس أن الصدفة هي التي

جمعت بين أخيه ستن وابنه حورس وأتباعهما في الصيد من الشاطئ الشرقي لمنف... إلا أن حورس قال بعد أن سمح له المقدَّس باورعا بالحديث: "لم يكن الوجود في نفس الأحراش صدفة، فقد رأيت عمي ستن يحرِّض بحارته على اللحاق بنا... ولم يكن هناك مبرِّر للخلاف، فالخنزير البري الذي ادعى عمي أن أتباعه أولى به، هو في الحقيقة من حقي أنا وأتباعي... ومع هذا، فبمجرَّد أن صاح أتباع عمي ستن يريدون الخنزير، وبه سهم من سهامي، أمرت أتباعي بتركه لهم، إلا أن عمي ستن، الذي سارع بنزع السهم، أصرَّ على الاشتباك والعدوان هو وعبيده على أتباعي... فاضطررنا للدفاع عن أنفسنا... ولولا أن لعمي ستن حق الأبوة...." وسكت حورس حينما أشار إليه والده أوزيريس بالسكوت... وقال باورعا الحكيم الكاهن وكأنه يشير إلى ستن: "ليس هناك ما يمكن عمله حيال مَنْ لا يوثق بكلمته... [مَنْ يغضب لسبب ما يزول غضبه بزوال السبب، ولكن القلب المريض بالضغينة والحقد لا يمكن أن يشفى]."

وأضاف الحكيم باورعا موجِّهًا الحديث إلى حورس وأوزيريس: "[الفضائل لا تعد فضائل عند مَنْ لا يقدِّرونها، وعندما يلمسها مَنْ يفتقر إلى الفضيلة تصبح رذائل، ومائة فضل تضيع بين اللئام.... الهبة تضيع عندما تُقدَّم لمَنْ لا يستحقها، والخير يضيع عند رجل لا ينطوي قلبه على خير... وجدير بمَنْ يطمئن إلى بيت رأى فيه ثعبانًا، أن يلدغه ذلك الثعبان]." (٢٩)

كان أوزيريس يسمع تلميحات باورعا وهو واجم صامت؛ إذ كان متيقنًا من صدق ولده حورس، بقدر ما هو متيقن من كذب ستن وميله إلى الشر وكراهيته لولده حورس... بل إن ست سارع بصفع أحد أتباعه؛ لأنه أيَّد صدق كلام حورس... وفي النهاية سوَّى باورعا الأمور، واستجاب حورس لطلب أبيه واسترضى عمه ستن.

في المساء جلست إيزيس مع ولدها حورس، في شرفة القصر ومعهما تانا جدة حورس، وقالت إيزيس لولدها: "أي حورس المقدَّس، يا مَنْ تسري في عروقك دماء الآلهة، يا ابن أوزيريس سليل آلهة السماء... احترس يا ولدي من عمك ست، إن ما فعله اليوم يكشف عن حقد وضغينة تملأ قلبه... إنه يبغضك ويبغض أباك.... داوم يا ولدي على تدريب بتاح وباورعا لك [إن الإله بتاح هو الذي صنع لك ولأوزوريس صفائح برونزية درعًا للصدر، وصفائح فضية للسيقان وتروسًا

مجدولة... إن نصوص ما قبل الطوفان تقول: عليك بخدمة الآلهة حتى تستحق أن تكون منهم... وخدمة الآلهة تكون بالتصدي للأشرار، ولا تقل إنك خيِّر، فهذا لا يكفي، فما فائدة الخير إذا كان عاجزًا؟ كل الفائدة في الخير حين يكون قادرًا... اجتهد لترتفع منزلتك في عيون الآلهة والناس؛ فالارتفاع في المنزلة يحتاج إلى جهاد، أما الهبوط فلا يحتاج، أرأيت إلى الحجر ترفعه إلى أعلى الجبل بصعوبة، وإذا تركته فإنه يسقط بلا مجهود؟] (٣٠)

وتوجِّه الجدة تانا لحفيدها حورس نصائح مشابهة وتحذره من عمه ست، وتوصيه خيرًا بوالده أوزوريس وتقول لحورس: "لا تكن يا حورس حسن النية كأبيك... على الإنسان يا ولدي ألا يطمئن للأفاعي... وعمك ست أكثر شرًا من الأفاعي والحيات... إن النبوءة تقول إن عمك سوف يخرب السفينة وبأنك سوف تصلحها... إذن لتكن قويًا؛ حتى تتصدّى لعمك ست، ولتكن كأبيك صاحب حيل..." وتسكت الجدة تانا؛ إذ يعلن الخدم والعبيد عن مقدم المقدّس "باورعا" الكاهن الأكبر، ومعه "دان" قائد المائة... وتحيي "تانا" التي لا تسري في عروقها دماء ملكية، المقدّس باورعا فتدقّ الأرض بجبهتها دقتين، وتحيي إيزيس وحورس والمقدّس باورعا، وقائد المائة دان، ويجلس الجميع.

ويتحدّث باورعا فيقول: "أيتها المقدسة إيزيس... أيها الابن الآلهي حورس... لقد جئت لأنفرد بكم.... من أجل النصح، فأنا أعلم أن الابن الإلهي أوزيريس يعتكف بعد قداس المساء... أحذرك يا ولدي من عمك ست... فهو لا يبالي "بالماعت" ولا بتوجُّهات آلهة النور والخير... إنه من أتباع "سخمت" و"أتّوب" وبقية آلهة الشر والظلام... وإنه أيضًا من أتباع "زندر"، ومن أصدقاء "جبجا الصغير"، الذي لم يَحِد عن طريقة أبيه "جبجا الكبير" في الشر والظلم والعدوان، كذلك فمن أصدقائه "تاماتي" قائد المائة الذي لا يعرف إلا الشر، ومن أصدقائه -أيضًا- "كاموس" الذي يتلصص على المنذورات وبنات خدمة المعبد... أحذرك يا ولدي حورس، والمقدَّسة إيزيس شاهدة، من أخطر أعوان ست، وهو الكاهن الطبيب "سِسنِبنف".فهو يستخدم طبّه وسحره وكهانته في الشر... إياك وأن تثق في "سسنبنف". إنه لا ينفذ شرع الآلهة، يأكل لحم الخنزير، وهو محرّم على الإكليروس، كما يدخل المعبد والهيكل وقدس الأقداس بينما تفوح من فمه رائحة السمك... لقد حوكم "سسنبنف" لاستخدامه سحره وطبِّه لأغراضه الدنيئة... ذات مرة أغوى واحدة من جواري المعبد... ومرّة أخرى، حين استعصت عليه واحدة من

المنذورات [٣١]، أطعمها من اللوتس السحري، بزعم أنه يشفي من الصداع... فغابت المنذورة عن الوعي، وبعد أن أفاقت شكت من عدوان "سسنبنف" عليها... احترس يا ولدي من عمك ست، ومن جوقة الأشرار الذين يحيطون به... ولتحفظك الآلهة.".

الإصحاح الخامس

في شرفة قصر ست، في الليلة السابعة والعشرين من شهر بابه، من العام الثامن عشر من ولاية أوزير. جلس ست ومعه حاشيته التي من أقطابها: الكاهن الطبيب الساحر "سسنبنف". وقائد المائة المتمرّد "تاماتي". والمقدّس زندر "الكاهن العجوز آخر أتباع "دِبْحِن" و"موبي". و"جبجا" الصغير [الذي لا يقل في شره واندفاعه عن أبيه جبجا الكبير. الذي ارتاح التاسوع المقدس من شروره. فأوكلوا إلى الآله "سوبك" الإله التمساح. أمر تخليص عين شمس من شروره؛ فأكلته سلالة سوبك المقدسة من تماسيح النيل] [٣٢]

انتهى الجميع من الطعام الوفير الذي اشتهرت به مائدة ست، وسارع الخدم والعبيد فقدموا الجعة ونبيذ العنب ونبيذ البلح... ودخل إلى الشرفة "رنزي" غلام "سسنبنف". و"مرو" غلام "زندر" يعلنان عن الانتهاء من تقديم الأضحيات كمحرّقات على نصب الآلهة... وبالفعل بدأت رائحة المحرّقات تصل إلى أنوف الحاضرين. وهي في طريقها إلى السماء، حيث تتنسمها الآلهة.

سأل "جبجا" الصغير باندفاعه المعهود ست قائلاً:

– ألا زلت... أيها المقدّس ستن تواظب على إرسال الأضاحي والمحرّقات إلى "سخمت" و"أنوب" و"حا" و"وزيت" وبقية أرباب العنف؟

فردّ ست:

– نعم... لا زلت أضحي بالمحرّقات لآلهة العنف والقوة؛ عسى أن تهبني الولد، مثلما وهب "بتاح" و"رع" و"أتوم" وبقية أخيار التاسوع أوزير ولده حورس... إنني لا زلت أتوقع نبوءة طيبة من المقدس "سسنبنف".

فرد "سسنبنف":

– سبق أن أخبرتك... أيها المقدّس ستن [٣٣] أنني سألت آلهة القدر عن نسلك، فقالوا: إنه لن يكون لك نسل إلا من إيزيس، أو من "ستت" ابنة "ساتو" أمير "آبو" (التي هي الفنتين).

قال "زندر":

- طالما أن إيزيس جعلتها آلهة القدر من نصيب أوزوريس منذ أمد طويل، فأرى أن ترحل، أيها المقدس ستن، إلى "آبو" في رحلة الشتاء، عسى أن تحظى برضا الأميرة المصارعة ستت "ابنة "ساتو"... وهي فرصة لتقوية مركز "ساتو" في الجنوب، وإضعاف مركز الأمير "دمو" وابنه الأمير "نارمر مينا" اللذين صار بيتهما في طينا بيتا مقدسًا، بعد زواج "مينا" من المقدّسة "نيت"، بل إنهما صارا مسيطرين وموحدين للجنوب، من "آبو" (التي هي الفنتين) إلى ميدوم وجنوب منف، كذلك فإنهما من أسباب قوة أوزوريس في عين شمس وسيطرته على كل السلالة الجبتية في الشمال والجنوب.

لم يعجب كلام "زندر" تخطيطات "سسنبنف" وتوجُّهاته التي يوحي بها إليه "سخمت" و"إمنتي إلهة الغرب" و"وزيت" و"وبوات" وبقية آلهة الظلام والعنف؛ لهذا بادر بالقول:

- ربما تريد آلهة القدر شيئًا آخر، غير الرحلة إلى "آبو"... وللآلهة طرق عجيبة لتحقيق ما تريد.

لم يجد كلام "سسنبنف" وقعًا لدى ست، الذي كان قد استقرّ قلبه منذ مدة على رحلة الجنوب إلى "آبو"، عسى أن يظفر بالأميرة "ستت"، وعسى أن يؤدي وجوده في "آبو" إلى زعزعة بيت "دمو" في "طينا"... وتذكّر ست الأميرة "نيت" زوجة "مينا" [التي هي في الحقيقة من صلبه هو، منذ أن اغتصب أمها "نفتيس"... ولكنها الآن ابنة أوزوريس في العماد؛ حيث رفضت "نفتيس" الزواج منه بعد اعتدائه عليها]... واستقرّ رأي ست على رحلة الجنوب، وأيّده في الرأي "زندر"، و"جِبْجا الصغير"، و"كاموس".

انتشرت في عين شمس شائعة عن استئذان ست للرحيل للجنوب، ومعه حاشيته المشهورة بالشر والفساد... وفي أوائل هاتور تأكّدت الشائعة؛ حيث بدأ ست وحاشيته وعبيده وخدمه الاستعداد للرحيل، وذهب كل من "وان" و"باورعا" للمقدّس أوزوريس، وقال "باورعا":

- أيها المقدّس أوزيريس... يا ابن الآلهة... إنك تعرف من الرسائل الأخيرة للأمير "دمو" وابنه الأمير المقدّس "نارمر مينا"، صهركم الذي صار من بيت "جبتو"، لزواجه من المقدسة "نيت"، أقول إنك تعرف -مثلنا- الكثير عن القلاقل التي يثيرها "ساتو" أمير "آبو" (الفنتين) وابنته الأميرة "ستت" مصارعة الرجال... إن "ساتو" وابنته يحاولان زعزعة سيطرة بيت "دمو" في طينا على مقاطعات الجنوب، الأمر الذي يسيئ إلى الاتحاد بين الشمال والجنوب... وأنت تعرف -أيها المقدّس أوزوريس- أن "ستن" من أعداء هذا الاتحاد... وأرى منعه من الرحلة إلى الجنوب؛ حتى لا تكتمل النبوءة التي بلّغك بها "توت" عن ست [الذي سيتسبب في إعطاب السفينة]... إن مجمع الكهنة وقواد المئات يرجونكم عدم السماح لست وحاشيته بالرحيل للجنوب؛ حتى لا يقوى شأن "ساتو" وابنته في "آبو"، الأمر الذي يسيئ إلى طينا والأميرين "دمو" و"مينا" وابنتك في العماد المقدّسة "نيت".

أضاءت وجه أوزوريس ابتسامة إلهية، ثم ربّت على كتف المقدّس "باورعا" وقال:

- أيها المقدّس "باورعا"... يا كبير كهنة عين شمس، والمسئول عن معبد التاسوع المقدّس في عين شمس... إنك تعلم أنني لا أصدر في أفعالي وأقوالي عن نفسي، بل عن وحي الآلهة.... إن "جبار" رسول الآلهة نقلني إلى التاسوع في جنة الآلهة، حيث تكلم الإله "توت" باسم الآلهة، وأمرني أن أسمح لست بالرحيل إلى حيث يريد حتى [يستقيم كرّ الزمان مع ما هو مكتوب في ألواح القدر] كما قال الإله "توت"... أيها المقدّس باورعا: ربما كان رحيل ستن وأتباعه فرصة لحصر الشر في "آبو"، وحتى ترفرف أرواح آلهة الخير على عين شمس، حيث لن يضحّي أحد لآلهة العنف والشر والمرتفعات، لا تخش شيئًا، أيها المقدّس "باورعا" فإن التاسوع الإلهي يرعى مدينته المقدّسة عين شمس.

وفي طينا، انفعل الأمير "نارمر مينا" وهو يخاطب والده الأمير "دمو" قائلاً:

- نحن نشهد بأن المقدّس أوزيريس إله وابن آلهة، ولقد صار والدًا ثانيًا لي، حيث إنه والد الأميرة "نيت" في العماد... إنني أعجب كيف يسمح للشرير ست بأن يتصل بالأمير "ساتو" في "آبو" وابنته "ستت" مصارعة الرجال... إن عيوننا قد أخبروني عن توثيق العلاقات بين ستن و"ساتو" و"ستت"، بل إن بعض عيوننا يشيرون إلى احتمال زواج "ستن" من "ستت" مع مَقْدِم الشتاء.

ردّ "دمو" على ولده المقدّس "نارمر مينا" قائلاً:

- لا تجزع يا ولدي... إنك صرت، بالإصهار إلى بيت الآلهة في عين شمس، من أنصاف الآلهة. وأنت تعلم أن التاسوع المقدّس قد أعلن من خلال الإله "توت" والكهنة المباركين أنك ستعيش خمسة أعمار، وأنك [سوف تُصلح السفينة التي يعطبها ستن].. ولْتعلَمْ يا ولدي أن أوزوريس -والدك في العماد- إله وابن إله، وأنه يصدر في أقواله وأفعاله عن توجيهات التاسوع المقدّس.

بعد أن وصل مبعوث من "ست" إلى أمير "آبو"، في منتصف هاتور من العام الثامن عشر من ولاية أوزيريس. بدأ الاستعداد في "آبو" لاستضافة القادمين من مدينة الآلهة.

كان للأمير "ساتو" وابنته "سِتَتْ" قصران في "آبو": أحدهما من الحجر شرقي النيل، والآخر من طوب اللبن والجذوع والأغصان، في جزيرة "آبو" (الفنتين) التي تقع في وسط مجرى النيل... وفي موسم الفيضان يكون الوصول لقصر الجزيرة باستخدام الطوّافات والأرماث؛ أما في موسم الجفاف في الشتاء، فيكون الوصول بطريق برّي يربط الجزيرة بالشاطئ، ويتم كل عام إعداد ذلك الطريق البري. باستخدام كميات كبيرة من الأتربة والرمال وجذوع الأشجار، يتعاون في نقلها العبيد والفلاحون المسخّرون والحمير والفيلة.

جري في هذا العام، الثامن عشر من ولاية أوزير، إعداد ذلك الطريق باشتراك أعداد كبيرة من العبيد والفلاحين المسخّرين، وباستخدام عدة مئات من الفيلة والحمير... وهكذا تم ربط الجزيرة بالشاطئ... كذلك جُهِّز قصر الجزيرة، وأُضِيفَتْ له حجرات وصالات جديدة واسعة تصلح للاجتماعات والاستقبالات.

كانت الأميرة المصارعة "ستت" وجنودها وعبيدها وخدمها يشرفون على العمل، وعلى إعداد طعام العبيد والمسخّرين وشرابهم... ومن حين لآخر كانت تُقَام حفلات الرقص والمسابقات الرياضية للترفيه عن العاملين.

ذات مساء، وقريبًا من نار إعداد الطعام ونار الأنصاب التي تُقدّم عليها المحرّقات للآلهة، جرى احتفال كبير، تضمّن عدّة مسابقات في رمي السهام والرماح والعَدو ورفع الأثقال والمصارعة... وتحدّى أحد المصارعين من سكان الرمال

الحمراء، أن يصرع اثنين من المصارعين الجنود، وبالفعل تمكّن من التغلب عليهما وسط الضجيج والصياح؛ عندئذ أعلن المنادي عن أن الأميرة المصارعة "ستت"، سوف تتبارى مع المصارع المنتصر... وصفّق الجميع... وأُجّجت النيران... وتقدّمت الأميرة الشابة في ردائها الكتّاني الأبيض. الذي يظهر طولها الفارع وعضلاتها المفتولة... وبعد كرٍ وفرٍّ، تمكّنت الأميرة من شلّ حركة المصارع، وطرحته أرضًا... وهلّل الجميع ووُزّعت الجعة.

همس أحد الفلاحين المسخّرين في العمل لزميل له قبل أن يخلدا للنوم:

- كنت مع مجموعة تقديم العلف للفيلة والحمير... ولمّا انتهينا من العمل، مررْتُ خلسة من خلف المكان الذي كانت تأكل فيه الأميرة "سِتَت"... وأقسم - بكل الآلهة- إنها أكلت بضع سمكات وإوزتين وخنزيرًا مشويًا مع عدد من أرغفة البتّاو، ثم شربت جرتين من جرار الجعة؛ كما شرِبَتْ زقّا من زقاق نبيذ البلح، ومع هذا لم تترنّح في مشيتها.. إنها أقوى من كل الرجال (٣٣).

هوامش سِفْر أوزيريس

١- بِنْبِن BenBen هرم صغير مقدّس، بل هو أقدس المقدّسات، يكون في قمة الهرم أو المسلة، وقد يكون من الذهب، وربما كان التماع قمته بالضوء إشارة إلى رع... والبِنْبِن ربما يكون من بقايا عبادات وأساطير طوطمية ورثها المصريون عن عصور ما قبل التاريخ.

٢- أسرار القلب واللسان: لقَّنَتْ الآلهة المصرية القديمة جبتو مصرايم أسرار القلب؛ أي الفكر والدين والآلهة، وأسرار اللغة، وللغة سحرها وتأثيرها لدى الشعوب القديمة.

٣- هناك فترات قوة في حياة الأمم، وهي الفترات التي يهتم فيها عقل الأمة بالتجريب والابتكار... وتنتقل الأمة بالتجريب من كشف لآخر... ونعتقد أن مصر عاشت فترة التجريب هذه في نهاية العصر الحجري الحديث وبداية العصر التاريخي؛ فانتقلت من البناء بالنباتات والطين إلى البناء بالحجر (وإن ظلَّت تحتفظ بالآثار النباتية في صياغة الأعمدة الحجرية) كما عرفت المحراث واستغنت به عن الحرث بالفأس، كما استأنست الحيوان... [ولا نعجب من كثرة مكتشفات الحضارة المصرية، فالإنسان الحديث، انتقل انتقالات نوعية خطيرة في السلاح وحده في القرن العشرين].

٤- الأبواب الوهمية (رموز للأبواب) أساس من أساسات عمارة القبور المصرية، وتسمح هذه الأبواب بدخول وخروج الكا والبا (القرين والروح).

٥- لا نَنْسَ أن الذي يسرد تفاصيل هذه الملحمة هو مانيتون ابن مصر البطلمية (قبل المسيح بحوالي ثلاثة قرون)، حيث كان المرض الذي لا يُعْرَف سببه يُعْزَى إلى الأرواح الشريرة أو غضب الآلهة، وكثيرًا ما عانى المصابون بالصرع، أو حتى بالزائدة الدودية المزمنة، من علاجات بالسحر والضرب والكي لقهر الأرواح التي تسيطر على أجسادهم.

٦- الشمَّاس: درجة دنيا من درجات الكهنوت المصري، وأصل الكلمة سرياني (سامي) منحوت من شاماش، إله الشمس السامي (المقابل لرع المصري).

٧- الشوباش أو الشوباشي، تعني "المردِّدين" وهي تماثيل صغيرة يُفْتَرض أن تردّد الدعوات للميت (لاحظ الاهتمام بتأثير الكلمة والدعاء) وتوضع داخل التابوت مع الميت.. وُجِدتْ آلاف كثيرة من هذه التماثيل ومعها تعاويذ وجعارين سحرية تملأ متاحف العالم.

٨- "تلقين الميت" طقس جنائزي مصري، أثّر في الفكر السامي... كانوا يلقنون الميت حتى يسهل عليه الردّ على محكمة تحوت أو أوزوريس وقت الحساب.

٩- الصراط (صراطا) -الفردوس (بارا دويس)- جهنم (جي هنوم) كلمات مشتركة بين الفكر الديني المصري والسامي، وهذه الكلمات من جذور مصرية.

١٠- التلقينات والصلوات المصرية، وُجِدت ألوف السطور منها في متون الأهرام ومتون التوابيت وأدراج البرديات (بردية جاردنر ـ بردية تورينو ـ جيمس هنري...).

١١- يصرُّ كثيرون من الآثاريين على أن نظام الماراثون الإغريقي مأخوذ عن نظام مصري أقدم، كان يعتمد على العدائين والعداءات لنقل البريد الشفوي والمكتوب (سليم حسن ـ عبد العزيز صالح ـ نجيب ميخائيل).

١٢- الكهنوت المصري يقرِّر أن الآلهة قادرون على الخلق بمجرد النطق (كنْ فيكون) فهل أثر هذا في الفكر السامي؟ (تُراجع أصول العقائد المصرية عند الكتّاب الكلاسيكيين من أمثال: هيرودوتس، ديودورو الصقلي، بلوتارخ، هيكاته المالطي، ومانيتون)... وتوجد مقتطفات كافية منها عند: جيمس هنري برستد. جون ولسون. نجيب ميخائيل. سليم حسن. فوستيل دي كولنج وغيرهم.

١٣- نفس المرجع السابق.

١٤- "السناتوريا" ابتكار مصري قديم، حيث أقيمت بجوار المعابد دور علاجية يرعاها الكهنة... ونقل ذلك الإغريق ثم الرومان.

١٥- إمسوحا: أرض التماسيح (امسوح هو التمساح في اللغة المصرية ونُقِل إلى العربية مُحرّفًا)... يُقْصَد بها الفيوم لكثرة بحيراتها وتماسيحها في القديم.

١٦- يبدو أن كلمة "التسخير" في القديم لم تكن سيئة الدلالة كما هي الآن، بل إنها تحمل إيحاءات تشبه الكيبوتزات والمستعمرات التي يعمل فيها الجميع، كما في المستعمرات الإسرائيلية ومستعمرات العزاقين والمتطهِّرين في بدايات الهجرة لأمريكا.

١٧- عيد سِد (Sed) عيد مصري غريب، من بقايا عصور ما قبل الأسرات وعصور التوحُّش (حيث كانوا يتخلَّصون من الزعيم الذي طعن في السن بقتله أو رميه من فوق الجبل، أو تركه وحيدًا للحيوانات المفترسة)، وعيد سِد الذي رأيناه في بداية التاريخ والأسرات، هو عيد مرور ثلاثين عامًا على ولاية الزعيم. (وربما يُقتَل أو يُعْزَل أو يُعَاد تنصيبه) راجع: سليم حسن، جون ولسون، نجيب ميخائيل.

١٨- المصريون من أوائل الشعوب التي حوَّلت الأبطال إلى آلهة (لهذا فتاريخهم الميثولوجي في العصر الحجري الحديث وأوائل الأسرات، تاريخ ملحمي خصب).

١٩- واضح أن فكرة المصطبة والمصطبتين هي الممهِّدة للأهرامات التي سوف تبتكرها الأسرات المصرية الأولى (كلمة مصطبة مصرية قديمة ولا تزال مستخدمة).

٢٠- يضربون القتيل ببقايا ذيل بقرة القربان؛ فيصحو القتيل ويخبر الكهنة عمَنْ قتله، وأخذ العبريون ذلك عن محكمة تحوت (قصة البقرة في العهد القديم، ثم في القرآن).

٢١- أوزير – أوزيريس: يبدو أن النطق الكامل يشير إلى الاسم المقدَّس، أو الاسم بعد الرسامة (ومثله إيزي وإيزيس، وست وستن).

٢٢- وفاء حابي هو نفسه ما يُعْرَف بعيد وفاء النيل... ويُنْسَب للإله حابي أنه ينقل بشادوفه (الذي صنعه له الإله بتاح) الماء من جنة الآلهة في السماء إلى النيل الذي يخترق أرض الآلهة، التي هي مصر.

٢٣- لم يحدث أن ألقى المصريون بفتاة بكر إلى النيل، كما تزعم بعض الروايات، لكن من عادة الناس تفضيل الروايات الغريبة والأقرب إلى الوحشية والبدائية.

٢٤- راجع التقسيم الإداري لمصر القديمة عند كلٍ من: سليم حسن ونجيب ميخائيل.

٢٥- السنة الجبتية أو القبطية، هي السنة في التقويم المصري القديم، وأيام النسيء في آخر السنة القبطية (خمسة أو ستة أيام) لضبط التقويم وجعله شمسيًا متفقًا مع مواسم الفيضان والجفاف (ويبدو أن المصريين في ماضيهم السحيق، حين كانوا أقرب إلى الرعاة، اعتمدوا -كغيرهم من الشعوب- تقويمًا قمريًا، لم يتفق مع الزراعة فيما بعد؛ فاضطروا لتغييره).

٢٦- توت أو تحوت، إله الحكمة عند المصريين وهو أول شهور السنة المصرية (توت، بابة، هاتور، كيهك، طوبة، أمشير، برمهات، برمودة، بشنس، بؤونة، أبيب، مسرى، نسيء).

٢٧- "يحكم قرابة ثلاثة قرون" قد يحدث ارتباك في التواريخ، أو تكرار الأسماء متشابهة فيما يكتبه مؤرخون قدامى مثل مانيتون، فيخرجون من هذا الارتباك بافتراضات كانت مقبولة قديمًا (مثل أن الآلهة أعطته خمسة أعمار من أعمار البشر).. وكثيرًا ما يشير العهد القديم إلى أعمار زادت عن المائتين، واقتربت أو زادت عن ثلاثمائة.. مع أن الثقات من الأطباء يقولون إن الجسم البشري لا يحتمل، حتى في الحالات الشاذة، أن يبقى بعد المائة والخمسين).

٢٨- أوزير = أوزيريس، إيزي = إيزيس، حور = حوريس، ست = ستن.. للإعجام (أو الفصاحة) في اللغة المصرية طريقتان: زيادة ES (يس) للاسم ذي المقطعين أو أكثر، وزيادة N (ن) في الاسم ذي المقطع الواحد (مثل اللغة العربية: محمد ومحمدن) ويبدو أن هذا الإعجام كان لونًا من التوقير.

٢٩- مقتبسات من حِكم مصرية قديمة. [عادة نضعها بين هذين القوسين].

٣٠- نفس الكلام السابق.

٣١- ترد كلمة "المنذورات" في المتون المصرية القديمة، وهن البنات اللاتي تنذرهن أسرهن لخدمة المعبد؛ تبركًا أو وفاءً لنذر، وربما كن يترقين في سلك الكهانة.

٣٢- تميل الشعوب القديمة للخيال الأسطوري (فكر ساذج كالأطفال) فربما أكلت التماسيح "جِبْجا" الكبير، إلا أنه من المناسب في ذلك الزمان أن تأمر الآلهة الإله "سوبك" التمساح، بأن يحرِّض نسله من التماسيح على أكل "جبجا".

٣٣- انظر هامش ٢٨.

٣٤- يبالغ الناس عادة في وصف أبطالهم، بحيث يخرجون بهم عن نطاق البشر... (ولا يزال شيء من هذا الخيال يلحق أبطال عصورنا الحديثة).

سِفْر آبو